الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي الطاهر –ولاية سعيـــدة–
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية

الشعبة: فلسفة

التخصص: فلسفة إسلامية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر فلسفة إسلامية

تأثير الخلوة في الفكر الإسلامي

الغزالي نموذجا

إعداد الطالبة:

- بوسنة فاطمة الزهراء

إشراف الأستاذ:

- دكار محمد أمين

السنة الجامعية: 2015–2016م / 1436–1437هـ

أبو حامد الغزالي النابغة الذي وظف العقل لخدمة الايمان وأكّد أن الإسلام روح حضارية ، وان الفكر دعامة من الدعائم التي يقوم عليها الايمان .

أبو حامد الغزالي

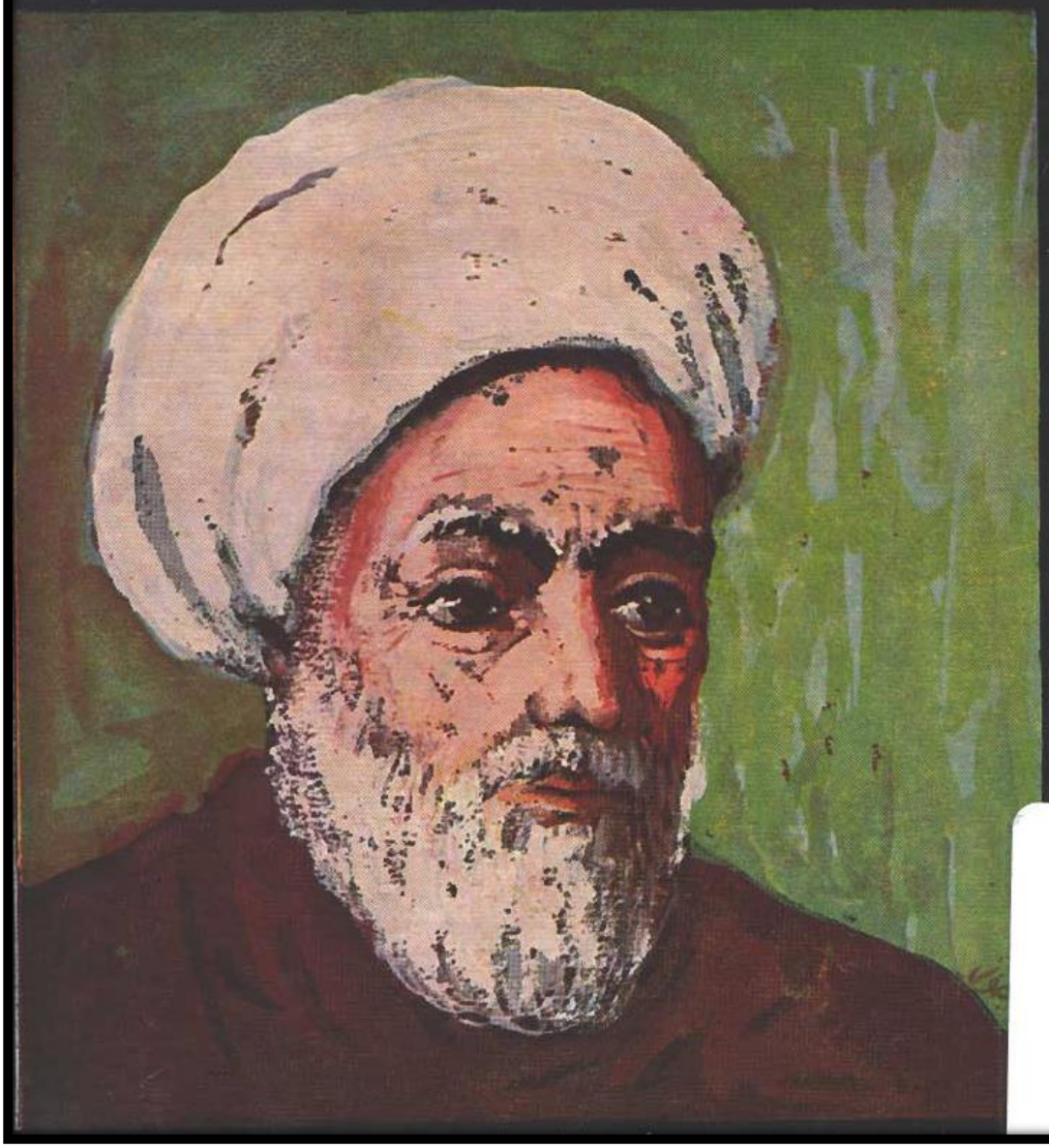

إهداء

إلى من عبدت لي دروب العلم وكانت سر نجاحي

أمي الغالية

إلى من أعيش معه أحلى كلمات

أبي العزيز

إلى نور حياتي و سندي في الحياة

أخوتي و أخواتي

محمد و عبد القادر و نعيمة و مخطارية

فدوى ومروة و آية

إلى رفيقات دربي ومؤنساتي

صبرينة و حنان

قبس

كلمة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر:

﴿... أما إذا ذكر الغزالي فقد تشبعت النواحي، ولم يخطر بالبال رجل واحد، بل خطر بالبال رجال متعددون، لكل واحد قدرته و قيمته...يخطر بالبال الغزالي الأصولي الحاذق الماهر، والغزالي الفقيه الحر، والغزالي المتكلم إمام السنة وحامي حماها، و الغزالي الاجتماعي الخبير بأحوال العالم وخفيات الضمائر ومكونات القلوب، والغزالي الفيلسوف، أو الذي ناهض الفلسفة، وكشف عما فيها، إنه يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره، رجل متعطش إلى معرفة كل شيء نهم إلى فروع المعرفة ﴾.

الدكتور يوسف القرضاوي، الإمام الغزالي بين مادحيه و ناقديه.

كلمة شكر و تقدير

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم و المعرفة، وأعانني على انجاز هذا العمل ووفقني لإتمامه

أتوجه بجزيل الشكر و الامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على انجاز هذه المذكرة

وفي تذليل ما واجهته من صعوبات و أخص بالذكر الأستاذ المشرف دكار محمد أمين الذي لم يبخل

علي بتوجيهاته و نصائحه القيمة التي كانت عونا لني في إتمام البحث

و لا يفوتني أن أشكر جزيل الشكر أساتذتي الكرام وطلبة قسم ماستر الفلسفة الإسلامية

و في الأخير أرجو من الله تعالى أن يجعل عملي هذا نفعا يستفيد منه الطلبة المقبلين على التخرج.

المقدمة

مقدمة

باسم الله الرحمن الرحيم

من أجل فهم أي مفكر يجب معرفة الظروف التاريخية و الفكرية التي عاشها وتأثر بها، أبي حامد الغزالي عاش مراحل مختلفة في حياته، وانغمس في تجربة روحية جعلته أولا يشك في عدة علوم، ومن ثم أدخلته في فترة خلوة، يبحث فيها عن اليقين في تلك العلوم، وأخيرا أوصلته إلى اختيار الطريق الذي بحث عنه، فإن التأثير و التأثر قد كان كبيرا في إنتاجه المعرفي، لقب الغزالي بدائرة معارف عصره، بناءا على مؤلفاته الوافرة في مختلف العلوم و المجالات، واشتهر بإبداعه في تحريرها، منها ما هو مقطوع بصحة نسبتها إليه، ومنها ما يدور الشك في صحة نسبتها إليه، فقد ألف الغزالي في مجالات مختلفة، إذ ترك ثروة ضخمة من المصادر، التي تناولت بشكل موسوعي كثيرا من مجالات العلوم في عصره، نذكر من بينها، مجال الفقه: علوم القرآن، جواهر القرآن، حقيقة القرآن، و في التصوف: المنقذ من الضلال، وكيمياء السعادة، ومشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار،و في نقد الفرق و المذاهب: قواصم الباطنية، و المستظهري، وفي مجال الفلسفة: تهافت الفلاسفة، و مقاصد الفلاسفة، وفي علم الكلام: المنتحل في الجدل، و الاقتصاد في الاعتقاد، و إلجام العوام عن علم الكلام، وفي الأخلاق و الدين إحياء علوم الدين و الذي يعتبر من بين أضخم مؤلفاته وأشهرها وغيرها من المجالات التي أبدع فيها كأصول الفقه...ويبدو أن دراسة الغزالي في الفقه ولأصول و الكلام والجدل كانت واسعة و خاصة في أيام دراسته في نيسابور وبغداد، وفي المصادر الصوفية نجد الغزالي يصرح بأنه قد اطلع على كتب كبار الصوفية منهم: أبو طالب المكي صاحب كتاب قوت القلوب، والحارث المحاسبي صاحب كتاب الرعاية لحقوق الله، والجنيد، والشبلي، و البسطامي وغيرهم، وفي المصادر الكلامية و الفلسفية و الجدلية والمنطقية فقد صرح أنه اطلع على كتب المتكلمين و الفلاسفة، وكذلك قرأ في أقوال الباطنيين وكتبهم، والكتب في الأديان والفرق، وألف في مذاهبهم، ورد عليهم في القضايا التي خالفوا فيها العقيدة الإسلامية، وفي المصادر الفقهية فإن علاقة الغزالي بها قديمة ابتداء من حياته العلمية في بلده طوس وجرجان و نيسابور إلى آخر حياته، واعتمد على كتاباته الفقهية على كتب الشيخ المزني رحمه الله و غيره...وقد كان منهج الغزالي رفض التقليد و إيثاره لطريق النظر العقلي، ولكنه لم يكتف بالوقوف عند حد الرفض المطلق للمعلومات السابقة بل جعل الفطرة الأصلية نقطة انطلاقه في طلب المعرفة والتماس اليقين. و الفطرة الأصلية هي حالة الإنسان مجردا عن العقائد و الوراثة و التقليد، و قد ظهر أول مؤلفاته وهو تلميذ على يد إمام الحرمين الجويني الذي تتلمذ على يده، وعند النظر إلى مؤلفاته، نجد أن هناك أمورا

تدفع الغزالي إلى الكتابة، فإما الإجابة عن سؤال وقبول طلب، أو البحث عن الحقيقة في مذهب من المذاهب والرد عليه، أو التصحيح و التعليم و النصيحة، أو وضع مناهج لسير عليها في العلم و العمل، وتمثلت مصنفاته في شكلين، الأول على شكل كتب، منها حجمها كبير، ومنها متوسط، ومنها صغير، والشكل الثاني رسائل وهي ممنهجة على شكل أبواب، وقد اعتمد في تحرير مؤلفاته على مصادر علمية مختلفة، نذكر منها: القرآن الكريم، و الحديث النبوي الشريف وعلوم الحديث، وكتب التفسير وعلوم القرآن، كتب الفقه والأصول و التصوف و الأخلاق، كتب الكلام و الجدل، كتب الفلسفة و المنطق، كتب التاريخ و الأديان و الفرق وغير ذلك وبخاصة تلك الموجودة في مكتبة النظامية التي استفاد منها الغزالي، بعد أن وصل الغزالي إلى حقيقة مذهب الصوفية عبر الدراسة المكتبية و الميدانية و التي هي عبارة العزلة و الخلوة والرياضة و المجاهدة لتزكية النفس، وتصفية القلب لذكر الله تعالى، قسم وقته بين العبادة والتدريس ومجالسة المتصوفة، إلى أن وافاه الأجل.

_ يحاول هذا البحث الإجابة عن إشكالية بلوغ اليقين عند الغزالي ودور الخلوة فيها؟

_ كيف أوصلته عزلته إلى الطريق الذي اختاره في الأخير؟

_ و ما مدى تأثر الإنتاج المعرفي للغزالي بحياته لما طغى عليها من تغيرات نفسية و روحية وحتى اجتماعية ؟

_ وكيف درس العلوم وصنف فيها وعاد إلى نقد بعضها ؟

ومن الأسباب التي دفعتني للقيام بهذا البحث كون هذا الموضوع ذا أهمية من حيث أن هذه الشخصية جديرة بالبحث لتميزها بذلك الكم النوعي للإنتاج المعرفي الذي يستحق الدراسة ولو دراسة وجيزة، و الإسهام و لو بالقليل في تحديد مصنفات أبي حامد الغزالي قبل الخلوة و بعدها، وتقديم قراءة لفكر الغزالي نأمل أن تجد مكانا ضمن الدراسات.

و فيما يخص أهداف البحث: الإطلاع على سير علماء المسلمين الذين ساهموا بعلمهم في ترسيخ العقيدة الإسلامية و الدفاع عنها و التصدي لكل دخيل عليها، يحاول بث الريب في معتقدات المسلمين، وإبراز دور الغزالي الذي يظهر جليا في مؤلفاته القيمة.

إن رجوع الباحث إلى الموضوع مباشرة دون معرفة بما كتبه من سبقه في موضوع بحثه يؤدي به إلى التعثر فيه، لذلك كان لزاما علي أن أتتبع من كتب في هذا الموضوع قبل أن أطرق البحث حتى أتمكن من الاستفادة مما كتبوه، ومن أبرز تلك الدراسات، دراسة الدكتور سليمان دنيا في كتاب الحقيقة في نظر الغزالي، ودراسة عبد الرحمن بدوي في كتاب مؤلفات الغزالي، ودراسة السيد محمد عقيل بن علي المهدلي في كتاب مدخل إلى دراسة مؤلفات الغزالي، ويوسف القرضاوي، و صالح أحمد الشامي في كتاب الإمام الغزالي، ودراسة عبد الكريم العثمان في كتاب سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين، ودراسة محي الدين عزوز في كتاب اللامعقول وفلسفة الغزالي، و دراسة عامر نجار في كتاب نظرات في فكر الغزالي...وغيرهم.

صعوبات البحث: وجدت صعوبات في لغة الغزالي، التي كانت في بعض المواضع صعبة الفهم، وأيضا من بين الصعوبات التي وجدتها هي أن التأكد من نسب الغزالي تحتاج تحقيق، وهذا ما صعب عملية إتمام البحث.

وحسب طبيعة الموضوع المعالج والغرض المنشود من وراء هذا البحث، التزمت بالنهج التحليلي النقدي.

فقد كانت خطتي للإلمام بتفاصيل البحث وإصابة الغرض الذي منه بدأت هي:

تفصيلا لإشكالية البحث، ارتأيت أن أحدد هيكل الدراسة في ثلاثة فصول، قسمت الفصل الأول إلى ثلاثة مباحث، والفصل الثاني إلى ثلاثة مباحث، أما الفصل الثالث فقسمته إلى مبحثين.

الفصل الأول: حياة الغزالي المعرفية، جاء هذا الفصل لعرض حياة أبي حامد الغزالي المعرفية، فتحدثت في المبحث الأول: الشك و اليقين عند الغزالي، عرضت فيه الشك الذي أصابه وأدخله في حيرة من أمره، والذي دفعه للبحث عن اليقين الذي سيشفيه من تلك الحيرة، أما المبحث الثاني:خلوة الغزالي، فقد جاء لسرد فترة الخلوة التي خاضها وما قاساه خلالها من جهاد النفس لبلوغ العلم اليقيني والطريق الصحيح من بين مختلف الطرق التي اعترضت طريقه، ثم المبحث الثالث:تصوف الغزالي، كان عرضا موجزا لاختياره الطريقة الصوفية سلوكا ومنهجا.

الفصل الثاني:الإنتاج المعرفي للغزالي قبل الخلوة، قسمت هذا الفصل بدوره إلى ثلاثة مباحث تصب كلها حول مصنفات الغزالي قبل الخلوة، أما المبحث الأول: في علم الكلام، فقد خصصته لذكر مصنف من بين المصنفات التي ألفها في هذا المجال وهو الاقتصاد في الاعتقاد، فأما المبحث الثاني:في الفلسفة، فقد عرضت للغزالي مصنفين هامين في مجال الفلسفة، وهما مقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة،

وكيف كتب فيها، وأي أسلوب اعتمد عليه في ذلك، أما المبحث الثالث:في رد الغزالي على فرقة الباطنية، فقد تضمن مصنفا للغزالي في تصديه لهذه الفرقة والرد عليها وهو فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية.

الفصل الثالث: الإنتاج المعرفي للغزالي بعد الخلوة، فقد قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين يصبان أيضا حول مصنفات الغزالي ولكن بعد الخلوة، فأما المبحث الأول: في الأخلاق، و ذكرت له في ذلك مصنفين، هما إحياء علوم الدين ومناهج العابدين، وأما المبحث الثاني: في التصوف، و اخترت له مصنفا من أهم المصنفات في هذا المجال أيضا وهو المنقذ من الضلال.

وختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم الإستخلاصات و النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

الفصل الأول: حياة الغزالي المعرفية

- المبحث الأول: الشك واليقين عند الغزالي
- المبحث الثاني: خلوة الغزالي
- المبحث الثالث: تصوف الغزالي

تعتبر شخصية أبي حامد الغزالي من بين الشخصيات التي علا شأنها وشاع صيتها في العالم الإسلامي ، وخاصة تجربته الروحية والمعرفية، التي عاشها، ومدى تأثيرها في اختيار مسار حياته الذي سعى فيه على بلوغ الطمأنينة والراحة النفسية، و المعرفة اليقينية، والخروج من نوبة الشك التي اعترته، و سببت له الحيرة و المرض مدة من الزمن، فأبى إلا أن يبحث عن الحقيقة، فاختار العزلة و الخروج عن الناس ومقاطعتهم، و مجاهدة النفس في ترك ملذات الدنيا من جاه و مال، وقد كرس الغزالي كل جهوده، حتى نال مطلبه، ليدرك الطريق الصحيح، ويقرر أن علم الصوفية هو العلم المنشود، و الطريق الصحيح، الذي إلتمس فيه الشفاء من أزمته النفسية فتخذها سلوكا و منهجا، وأصبح صوفيا، متأثرا بالصوفية، مؤثرا فيها، ورأى أن المعرفة اليقينية، هي المعرفة الصوفية ،وفي هذا الفصل سأحاول ذكر ولو اليسير عن هذه التجربة الروحية التي خاضها أبي حامد الغزالي، فيما يخص حالة الشك عنده، و فترة عزلته، وصوله أخيرا طريق الصوفية.

1) المبحث الأول: الشك و اليقين عند الغزالي

1) -1 الشك عند الغزالي:

شك الغزالي مر بعدة مراحل، أولاها الشك في الحسيات ثم العقليات، وثانيها شكه في أي من هذه العلوم يوجد اليقين، علم الكلام و علم الفلسفة، و الباطنية، و التصوف:

لمس الغزالي من خلال اتصالاته، ومجادلته... ، اضطراب في الأحوال الدينية ، و اختلاف المذاهب، وتباين الملل و النحل ، فشبه دلك ببحر غرق فيه الكثيرون ، وما نجا منه إلا الأقلون ،فشاء أن يجرب حظه و يخوض غمار هدا البحر الصاخب ...عسى أن يستطيع إدراك حقائق تياراته الجارفة، فقال :<<...وأتفحص عن عقيدة كل فرقة و استكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لا ميز بين محق و مبطل ،و متسنن و مبتدع>> .[1]

وهكذا بدا الغزالي في الكشف عن فلسفة كل فيلسوف وغاية كل متكلم و سر صفوة كل صوفي وحاصل عبادة كل متعبد .

و من الطبيعي ان يولد هدا البحث و الاستقصاء عند الغزالي الشك و القلق و كانت بداية هدا الشك عنده انحلال رابطة التقليد ، لأنه يزعم بأنه لم يجد فيها علما يقينا ، و لا وسيلة لتمييز الحق من الباطل.

و قال الغزالي : و قد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي و ديدني ، من أول أمري و ريعان عمري ، غريزة و فطرة من عند الله وضعتا في جبلتي ، لا باختياري و حيلتي ، حتى انحلت عني رابطة التقليد ، و انكسرت على العقائد الموروثة [2]

ظهر للغزالي إن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط و الوهم.

ولم يستطع الغزالي في البدء القطع في حقيقة المعرفة العقلية فتوقف عن الحكم و اعترته أزمة شك عنيفة استمرت حوالي شهرين حملته على عدم الثقة بالعقليات أيضا بعد أن سحب ثقته من التقليديات و الحسيات ، وكان سبب شكه في العقليات تأثره بالمتصوفة الذين يقولون أنهم يتوصلون إلى المعرفة الحقة

[1] نقلا عن مصطفى الغالب، الغزالي ، دار و مكتبة الهلال، بيروت لبنان، 1995، ص، ص 39-40.

[2] المرجع نفسه، ص 41.

عن طريق المشاهدة لا عن طريق العقل ... وانتهت تلك الأزمة بالعودة إلى الثقة بالعقليات ، وتم له ذلك ... ولكن << بنور قذفه الله في الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة >>[1]

شك الغزالي في الحسيات فقد ثقته فيها، ثم شك في العقليات لكنه استرجع ثقته أخيرا.

ويتضح من كلام الغزالي انه لم يوافق المتصوفة على تعطيل دور العقل في المعرفة ، كما انه لم يوافق الفلاسفة في الاعتماد اعتمادا كليا على العقل في تحصيلها ، بل وقف موقفا وسطا وقال بمصدرين للعلم اليقيني، هما الحدس الصوفي و العقل .[2]

اتخذ الغزالي موقفا وسطا في الاعتماد على العقل، فهو لم يوافق المتصوفة في تعطيل دور العقل تماما، ولم يوافق الفلاسفة أيضا في اعتمادهم الكلي عليه.

كان يبحث عن البوصلة الهادية ، في هذا الطريق المتعدد المسالك ...ولقد كان فضوله العقلي ، دافعه ليطوف و يرتحل في دروب العلوم الفلسفية و الدينية ، لم يترك فرقة من الفرق الدينية...فتح نوافذ عقله، لكل المدارس و الفرق و الأفكار ، و بعد إن دخلت إليه و راح يمتحنها و يدرسها و يمحصها ، امتحان و دراسة و تمحيص العلم الذي يريد أن يصل إلى جوهر الحقيقة و الأشياء .[3]

فضول الغزالي في معرفة الحقيقة دفعه للبحث والغوص في مختلف العلوم و الفرق ودراستها .

لم يكن الغزالي يقرأ كل الذي قرأه من اجل أن يفسر ما قرأ ، بل من أجل أن يقرأ و يفسر و يغير...ان التفسير بعيدا عن التغيير هي مهمة النقاد ومسؤوليتهم ، ولكن التفسير من أجل التغيير هي مسؤولية مهندسي الكون و المجتمع من العلماء و الثوار...وهذا ما كان بالتحديد الإمام الغزالي ، وهذا هو موقعه في علم الدين [4]

---

[1] نقلا عن علي ابو ملحم، الفلسفة العربية مشكلات و حلول، عز الدين للطباعة و النشر، لبنان، بيروت، ط1، 1414هـ، 1994، ص189.

[2] علي ابو ملحم، الفلسفة العربية مشكلات و حلول، عز الدين للطباعة و النشر، لبنان، بيروت، ط1، 1414هـ، 1994، ص 190.

[3] ابو حامد الغزالي، نوابغ العرب، دار العودة، بيروت، 1986، ص 38.

[4] نفس المرجع، ص، ص 61-62.

فتش الغزالي في أغلب الفرق عن الحقيقة التي كان يطلبها ولم يجد فيها مطلبه

يستدل من هذا كله أن الشكوك التي خامرت الغزالي منذ عهد الصبا ، فنظر إلى المذاهب في اختلافها ، و الملل في تباينها ، واتضح له أن أولاد اليهود لا يكون لهم نشوء إلا على التهود ، وأولاد النصارى إلا على التنصر ، و أولاد المسلمين إلا على الإسلام ، ومثلهم المجوس يقتفي منهم المتأخر اثر المتقدم، منقادا لرابطة التقليد، ثم انبرى يستكشف أسرار الفرق مستقصيا :الباطنية ،والظاهرية ، والفلسفة، والكلام، والزنادقة وسواها واستبان إنها لا تسكت فيه هذا القلق ولا تبلغه شاطئ الراحة...، وليس فيها كلها ما يحمل إليه الطمأنينة العلم المبتغي [1]

شهدت السنة الثالثة و الثلاثون من حياة الغزالي تحولا حاسما، ففي هذه الفترة واجه أبو حامد مشكلة اليقين الفكري، وهي مشكلة طرحت في وجدانه بإلحاح وعنف مما سبب له أزمة داخلية حادة شلت نشاطه التعليمي وحولت مجرى حياته العائلية.[2]

وهو عندما يعبر عن المعرفة الحقة يقع تعبيره موقع المجرب الذي لمس الأمور و عاشها شخصيا. يقول الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال" : << إن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، و لا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين ...و إن كل ما لا أتيقنه هذا النوع من اليقين هو علم لا ثقة به و لا أمان معه >> [3]

يصرح الغزالي من خلال تجربته الروحية التي عاشها في البحث عن العلم اليقيني واعتبر هذا العلم انه لا يصحبه ريب و لا شك و لا يقارنه الخطأ و يجب أن يوصل إلى الأمان و الاطمئنان النفسي و العلم الذي لا يتصف بذلك هو علم لا ينبغي الوثوق به.

---

[1] .يوسف فرحات، الفلسفة الإسلامية و أعلامها ، الشركة الشرقية للمطبوعات، ط1 ،1986م، ص 123.

[2] هنري كوربان، ت.نصير مروة ، حسين قبيسي ، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ر،ق. الإمام موسى الصدر، الأمير عارف تامر، ط2.

3 المرجع نفسه، ص 274 .

يقول الغزالي أنه تخلص من أزمته الشكية بنور من الله قذفه في صدره فكان وحده المفتاح الذي أنجاه.

دام داء الشكوك شهرين ، والغزالي على مذهب السفسطة ، حتى قذف الله في صدره نورا علويا ، استطاع به الغزالي ان يتخلص من ريبه وان يلقى الطمأنينة ، لقد عجز العقل عن حل المعضلات الإلهية ، وعن تبديد الاضطراب ...إن الكشف وحده كفيل بان يدرك أكثر المعارف، إنه مفتاح المعرفة ' ولن يؤتى هذا المفتاح إلا من آمن بالنبوة وأقر بإثبات طور فوق طور العقل، تنفتح فيه المدركات الخاصة ، والعقل معزول عن هذه المدركات.[1]

هكذا انتهى الغزالي إلى أن العقل عاجز عن حل المعضلات الإلهية ، وان اليقين يكون بالإيمان ، والإيمان مرتكز عن الكشف الباطني ، والكشف الباطني مفتاح العادة والمعرفة ينبوع العقائد والعلوم الحقة.[2]

أقر الغزالي أن الكشف الباطني هو السبيل إلى معرفة الحقيقة، وأن العقل لا يحل المعضلات الإلهية.

فإن الغزالي خرج من شكه بطريقة لا تصل بأحد إلى اليقين ، خرج من شكه بنور الله ، ونور الله هذا لا يعرفه العلم ،و الغزالي نفسه يشعر بذلك... وينقل أن رسول الله لما سئل عن " الشرح " ومعناه في قوله تعالى << فمن يرد أن الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام>> يقول الغزالي:<< وهو الذي قال صلى الله عليه وسلم فيه << إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره >> فمن ذلك النور ينبغي أن يطلب الكشف>>.[3]

ولما بلغ الشك عند الغزالي منتهى خطورته واستبد بكل جوارحه ويئس من النجاة من مخالبه، جاءه عون خارجي متمثلا في لطف الله بعباده و رحمته بهم، فخرج من سعير الحيرة و الاضطراب إلى ساحل الطمأنينة و اليقين.[4]

عادت نفس الغزالي إلى الاعتدال بعون الله عز وجل له ولطفه بعد شكه الذي تعسر عليه النجاة منه.

1/ 2_ لعب الشك دورين هامين مع الغزالي:

[1] د .يوسف فرحات ، الفلسفة الإسلامية وأعلامها، الشركة الشرقية للمطبوعات، ط1، 1986م، ص 124.

[2] المصدر نفسه، ص 124.

[3] زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، دار الجيل، بيروت، ط1408،1هـ،1988م، ص، ص 338-339.

[4] محي الدين عزوز، اللامعقول وفلسفة الغزالي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص، ص 98-99

قام الشك بدورين هامين مع الغزالي، إذ قاده إلى الوقوع في أزمة نفسية

أما الدور الأول فيتمثل أن الغزالي رأى أمامه فرقا متعددة، وآراء متنابذة، ومتباينة، فرأى أن ينصف من نفسه ومن هذه الفرق جميعا فألغى سلطة الآراء الموروثة واطرح قداستها، وأخذ يبحث عن الحق من بين هذه الفرق، فشكه في هذه المرحلة بتشخيص... فالباحث أول ما يشك في نفس الآراء فيروح يختار منها ما يؤيده الدليل، و يلغي ما يعوزه الدليل، فإذا رأى رأيين متقابلين قد اعتصم كل منهما بدليل اضطرب و اختلط عليه الأمر، ولكنه لا يلبث أن ينتبه إلى أن العيب في نفس الأدلة، وهنا يتجه فكره إلى النظر في نفس الأدلة، وفي موازين الحقيقة، فأحيانا يهتدي إلى ميزان يرتاح أيه فيقبل أو يرفض الآراء في ضوئه، وأحيانا يشك في كل الموازين ولا يرى واحدا منها صالحا للوزن به، وهذه أخطر حالات الشك و أعقدها وهذا ما وقع للغزالي آخرا.[1]

أول ما شك على هذا النحو السمح الخفيف فأخذ يبحث عن الحق بين اضطراب هذه الفرق، معولا على العقل و على الحواس، وعلى ظواهر القرآن و السنة، و على القضايا المشهورة، فهذه كلها موازين الحقيقة لذلك العهد، فلابد أن يجربها الغزالي.[2]

تفحص الغزالي كل هذه الموازين من أجل بلوغ و تحديد العلم اليقيني، الذي لا يصاحبه الغلط والريب، بما يرتاح معه القلب وتطمئن له النفس، فاستعان بالعقل و الحواس، و القرآن و السنة، و القضايا المشهورة، فهي تعد موازين الحقيقة.

بهذا خرج الغزالي من الشك الذي كان دائرا حول موازين الحقيقة، فهو الآن قد رضي الضرورة العقلية ميزانا، أما الشك في أي هذه الفرق على حق؟ أو عند من هذه الفرق يوجد العلم اليقيني، فلم يخرج منه بعد.[3]

[1] سليمان دنيا ، الحقيقة في نظر الغزالي، دار المعارف، بمصر، 1965، ص 25.

[2] المرجع نفسه، ص 25.

[3] المرجع نفسه، ص، ص 29-30.

انقسمت حياة الغزالي غلى ثلاثة أقسام، كان للشك دور كبير في هذا التقسيم.

يقول سليمان دنيا : << يمكننا أن نقسم حياة الغزالي إلى ثلاث فترات : الفترة التي سبقت شكه، فترة الشك بقسميه ، فترة الاهتداء و الطمأنينة ، أما الفترة التي سبقت شكه فيمكن التغاضي عنها، لأنه في هذه الفترة كان متعلما لم يبلغ درجة النضج الفكري و الذي يهيئ له أن يكون ذا رأي مستقل ، وخصوصا أن الغزالي حدثنا أن الشك قد أتاه مبكرا على قرب عهد بسن الصبا ، وأما الفترة الثانية : فنستبعد منها أيضا فترة الشك العنيف ، لأنه لم ينتج فيها ، فتبقى لنا فترة الشك الخفيف ، وقد كانت طويلة المدى ، لأنها ابتدأت منذ سن الصبا ، إلى أن تصوف و اهتدى>>.[1]

ويحدثنا الغزالي عن تجربته التي خاضها حيث أنه غاص في مختلف العلوم منذ الصغر بحثا عن اليقين في هذه العلوم

يروي لنا الغزالي في "المنقد من الضلال" تجربته من الشك إلى اليقين فهو مند ريعان عمره و حتى قبل بلوغ العشرين وحتى الخمسين يقتحم لجة كل العلوم النظرية و العلمية بحثا عن اليقين هذا الذي طال جميع أصناف الطالبين في أيامه ، الباطنية، و الفلسفة و علم الكلام ، و الصوفية و حتى الزنادقة لم يغربوا عن باله... ومن هنا فان تركيز الغزالي على أن باطنه قد تحرك يعني انه حدد معيارا نفسيا ، لطلب الحق ، حيث تسكن النفس إلى ما تعتقد و ينكشف له العلوم انكشافا لا يبقى مع ريب ولا يقارنه ، إمكان الغلط ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك.[2]

[1] صالح احمد الشامي، الإمام الغزالي، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، ص 68.

[2] المنقذ من الضلال، ص 21.

2 /1_ توصل الغزالي إلى اليقين:

مر الغزالي بفترة عصيبة في حياته شك فيها بعدة علوم وفرق، بحث فيها عن اليقين، حيث وجده أخيرا وخرج من أزمته تلك.

بعد عشرة أعوام من الاعتزال و الترحال ، وبعد أن نضج فكره على أشعة الممارسة و الدراسة و عاد الغزالي إلى نيسابور و إلى عاصمة الولاية ، ليدرس فيها ...لقد خيل له و التخيل يصدق في بعض الأحيان و أن عودته إلى ارض ميلاده ، إلى بلدة طوس ، سيكون فيها ذلك الاستقرار الروحي و الذي ينشده ، و كيف لا يكون مسقط الرأس ،هو الأمل و نهاية المطاف بالنسبة إلى العالم الرحال أبو حامد الغزالي .[1]

و الصوفية بالنسبة للغزالي كانت هي طوق النجاة له في مراحل الهيجان و الاضطراب الروحي والقلاقل و الزلازل النفسية ...و إقامته بالمسجد الأموي بدمشق واعتزاله هناك لسنوات، قد أفاده في الخروج من أزمته النفسية التي كانت تجتاحه، ذلك الاجتياح الكبير.[2]

يرى الغزالي أن من أحبه الله عز و جل ابتلاه و منحه فرصة التقرب من بالعبادة و الرجاء، وهداه السبيل و أنار قلبه وكشف عنه الريب و الشك.

وكانت تجربة المرض فرصة رائعة منحها الله لعبده العالم الباحث عن اليقين كي يعرف بنفسه طريق الأمان فقد قذف الله تعالى في صدره نورا كشف له حقيقة أكثر المعارف ، وكانت رحمة الله به واسعة حانية فهداه سبحانه و تعالى إلى " نور على نور" النور الأول نور العقل و النور الثاني نور البصيرة ، وكشف الله تعالى عنه غطاءه وشكه ، وأدرك ان من يهبه الله طريق الذوق و الكشف يستطيع أن يصل إلى العلم اليقيني الذي لا شك بعده.[3]

أجل ...كان الغزالي رجل طلعة، مولعا بالبحث عن الحقيقة ، و السعي وراء المجهول، والتفتيش عن اليقين الذي ينشرح به الصدر، ويطمئن به القلب، لا يقنع بالتقليد، فالتقليد لا ينتج علما يقينيا، ولا يكتفي

1 صالح أحمد الشامي ، نوابغ العرب ، دار العودة ، بيروت ، 1986، ص، ص 47-49.

[2] نفس المرجع، ص، ص 93-94.

[3] نفس المرجع، ص 80.

بالظن ، فالظن في قضايا الاعتقاد و الأصول لا يغني من الاعتقاد شيئا، ولهذا شدد الحملة على التقليد والمقلدين، ومما قاله في ذلك:

<< اعلم يا أخي أنك متى كنت ذاهبا إلى تعرف الحق بالرجال، من غير أن تتكل على بصيرتك، فقد ضل سعيك... فمن عول على التقليد، فقد هلك هلاكا مطلقا>>[1]

رفض الغزالي التقليد و تتبع أحكام السابقين و أفكارهم دون تفحصها، وتقبلها كما هي، بل ينبغي التدقيق في صحتها والأخذ به، و ترك ما دون ذلك.

وما أجدرنا أن ننقل عبارته هنا بنصها من " المنقذ " لما فيها من وضوح و نصاعة يقول: << ولم أزل في عنفوان شبابي– مند راهقت البلوغ، قبل بلوغ العشرين، إلى الآن وقد أناف السن إلى العشرين–: أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور، لا خوض الجبان الحذور، أتوغل في كل ظلمة، وأتهجم على كل مشكلة، وأتقحم كل ورطة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لأميز بين محق و مبطل، ومتسنن و مبتدع >>[2]

يعد الشك بالنسبة للغزالي الطريق الذي يؤدي إلى الإكتشاف و التنوير و التجديد، فكلما شك الإنسان في علم ما، راح يبحث، ويستقصي ما خفيه، ونذكر هنا قول ديكارت:<<أنا أشك، أنا أفكر>>

ولما انحلت عن الغزالي رابطة التقليد وانكسرت زجاجتها بين يديه لم يعد يشك في مناهج العلم فقط، ولا في صحة العلم نفسه فحسب، وإنما زالت ثقته في قدرة الإنسان على العلم و المعرفة ...، ويبحث عن حقيقة الفطرة الأصلية عله يجد فيها ينابيع أخرى تصلح لأن تكون أداة للحصول على معرفة يقينية وأدرك أن بلوغ مثل هذه المرتبة يمكن أن يتم إلا بعد معاناة أزمة الشك لأن<< من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى و الضلال>>[3]ولا يعد الشك في هذه الحالة مجرد تردد بين اختيار أو قبول أحد أمرين، هذه هي الحالة المرضية التي عاناها الغزالي.>>[4]

---

[3]نقلا عن يوسف القرضاوي ، الإمام الغزالي بين مادحيه و ناقديه ، ط4، ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1414هـ، 1994م ص 25.

[2] نقلا عن يوسف القرضاوي، المرجع نفسه ، ص 26.

[3] نقلا عن محي الدين عزوز اللامعقول وفلسفة الغزالي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1983 ، ص 87.

[4] نفس المرجع ، ص 98.

2/ 2_ اليقين عند الغزالي:

اليقين عند الغزالي هو ما لا يصحبه شك ولا ريب، بل هو ما لا يقارنه إمكان الوهم و الغلط، أي أنه واضح تماما، ومن علامات اليقين الأمان من الخطأ و الطمأنينة، ولا يسمح القلب أن يرفضه، بل يشعر معه بالراحة النفسية.

ابتدأ يبحث في الوجود فبحث في العلم ، تكلم عن الضرورة وعدمها، اليقين وعدمه في كل علم وأدى به هذا إلى التشكيك في كل العلوم ثم يستمر فيقول :<< فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب و لا يقارنه إمكان الغلط و الوهم و لا يتسع القلب لتقرير ذلك (الوهم و الغلط) بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين >>[1]

فتش الغزالي في معلوماته لعله يعثر على هذا النوع من العلم اليقيني فبدأ بالحسيات و الضروريات أي القضايا المستندة إلى الحس والقضايا الأولية البديهية فقال في نفسه:<< لا أمل في اقتباس المشكلات إلا عن طريق الجليات (البينة بذاتها) و يقصد بها الحسيات و الضروريات، ولكنه أراد أولا أن يتيقن من ثقته بالمحسوسات و الضروريات>>.[2]

أراد الغزالي التأكد من الحسيات و الضروريات بأنها تؤدي إلى العلم اليقيني قبل أن يعتمدها في الخروج من الشك الذي كان ينتابه وناشد التخلص منه، فلم يجد في الحسيات ذلك اليقين وفقد ثقته بها وأما الضروريات العقلية، فقد استعاد تلك الثقة المفقودة، بعد شكه فيها.

أما الغزالي فإن الله سبحانه و تعالى هو الذي أخرجه من الظلمات إلى النور هو الذي قذف في قلبه نورا من هذا المرض، من هذا الشك، وعادت نفسه إلى الصحة و الاعتدال، وعادت الضروريات مقبولة موثوقا بها " لم يكن ذلك بنظم وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح المعارف، وعلامة هذا النور الذي يقذفه الله تعالى في القلب هي التجافي عن دار الغرور، و الإنابة إلى دار الخلود، أي الزهد في الدنيا و التطلع والعمل للآخرة.[3]

---

[1] فتح الله خليف ، فلاسفة الاسلام ، دار الجامعات المصرية ، ص 223.

[2] المرجع نفسه ، ص 224.

[3] فتح الله خليف، فلاسفة الإسلام، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ص 231.

لقد دعم الغزالي كلامه بقول الله تعالى << فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام>>أي بالنور الذي يقذفه الله تعالى في القلب.

وهذا النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحيان، وينبغي للإنسان أن يترصد له و يعد نفسه لقبوله، وذلك بالمجاهدات و العبادات و الزهد في الدنيا ودوام ذكر الله، وفي كتاب الإحياء وصف رائع للمجاهدات و العبادات و المقامات و الأحوال التي ينبغي على الإنسان ان يسلكها حتى يعد نفسه للكشوف و الفتوحات.[1]

3/ _ نظرية المعرفة عنده:-

تعددت العوامل و المؤثرات التي كونت نظرية المعرفة عند الغزالي

إن العوامل التي ساعدت الغزالي على صياغة نظريته في المعرفة كثيرة و متعددة، فمنها ما يرجع إلى الظروف البيئية و منها ما يرد إلى ظروفه النفسية، ومنها ما استقاه من كلام السابقين و المعاصرين له، إلى غير ذلك من العوامل، ومنه ما اطلع عليه في حياته أو استنتجه منها.[2]

أما عن المؤثر النفسي و العقلي، فقد قال في شأنه << و ما استأجرت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاستبصار، وما استفدته أولا من علم الكلام، وما اجتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق عن تقليد الإمام ... وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق من لباب الحق، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة، وما دعاني إلى معاودتي بنيسابور بعد طول المدة.[3]

تميز العصر الذي عاش فيه الغزالي بكثرة الآراء الكلامية و الفلسفية و تعدد النزعات حيث حاول أصحاب كل رأي على إسقاط و دحض حجج وبراهين الآراء الأخرى وإبداء رأيهم أنه على حق.

تأثر الغزالي بالمتصوفة واستسقى نظريته للمعرفة منهم، حيث رأى أنه طريقهم، الطريق الموصل إلى المعرفة الحقة.

---

[1] المرجع نفسه ، ص 232.

[2] محي الدين عزوز ، اللامعقول و فلسفة الغزالي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1983 ، ص 83.

[3] انقلا عن محي الدين عزوز ،لمرجع نفسه ، ص، ص 85-84.

عند بحثه لنظرية المعرفة أعجب الغزالي بالطريق الذي سلكه المتصوفة الذين نعتهم بأنهم يمثلون بحق طلاب الحقيقة. ثم أعجب بهم ثانية عندما أراد أن يوجد حركة شعبية تساعده على النهوض بالعالم الإسلامي...فالصوفية التي يريدها الغزالي ليست مجرد موقف مذهبي أو ديني أو عيش في برجعية مطلقة ينعزل معها صاحبها عن واقع الناس، وإنما هي انغماس في خضم الحياة بكل نشاطاتها وانصلاق من الواقع الاجتماعي الذي يحياه المسلمون مع سعي تدريجي ومستمر إلى السمو الذي يؤهلهم لخلافة الله في الأرض.[1]

2/ المبحث الثاني عزلة الغزالي

1/2_ عزلة الغزالي

في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة شرفت نفس أبي حامد عن رذائل الدنيا فرفضها و اطرحها واقبل على العبادة و السياحة وسلك طريق الزهد و الانقطاع على الناس تاركا جميع ما كان عليه في بغداد من شهرة وصيت و مركز، مظهرا العزم على الخروج لمكة لأداء فريضة الحج ، فتوجه إلى الشام واعتكف في زاوية بالمسجد الأموي ، وظل في دمشق حتى ذي القعدة عام 490هـ ، حيث قصد الحج وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسام.[2]

1/2_ أ_ السياحة والاجتهاد في العبادة :

بيت المقدس –مصر 498هـ،500هـ:توجه أبو حامد إلى دمشق إلى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، وزيارة المشاهد و المواضع المعظمة ، فقد جاور بالقدس ويروي انه كان يدخل كل يوم الصخرة ويغلق بابها على نفسه ، كذلك توجه إلى الخليل لزيارة مقام إبراهيم عليه السلام ، ثم قصد مصر وأقام مدة بالإسكندرية ، ولعله أراد زيارة مساجد مصر وأضرحة الأولياء فيها.[3]

جاهد الغزالي نفسه بالعزلة و العبادة و ذلك باتخاذه مكانا معزولا عن الناس يزكي فيه النفس وتهذيبها، والانشغال بذكر الله.

---

[1] محي الدين عزوز، اللامعقول و فلسفة الغزالي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1983 ، ص، ص 150-151.

[2] ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ،تحقيق محمود مصطفى حلواني، مناهج العابدين الى جنة رب العالمين، مؤسسة الرسالة، ط1989،1409،1، ص 11.

[3] المصدر نفسه، ص 12.

يقول الغزالي في " المنقذ من الضلال<<: ثم دخلت الشام و أقمت بها قريبا من سنتين ، لا شغل لي إلا العزلة و الخلوة و الرياضة و المجاهدة اشتغالا بتزكية النفس ، وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، كما كنت حصلته من علم الصوفية ، فكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق اصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي و ثم دخلت منها إلى بيت المقدس ادخل كل يوم الصخرة واقفل بابها على نفسي>>.[1]

(في رجب) 488هـ بدأت أزمته الروحية التي استمرت ستة اشهر...(في ذي القعدة) ترك التدريس في نظامية بغداد ، وسلك طريق التزهد.[2]

تحول تفكير الغزالي كله إلى جهاد النفس و تنويرها بذكر الله عز وجل و لم يكن يهتم حينها بملذات الدنيا و مظاهرها.

لم يبلغ إنسان في قهر نفسه و حرمانها، من ابسط أشياء الحياة ، كما بلغ الغزالي من نفسه ، فلقد كان يعيش على ملئ حوصلة طائر من القمح ، ومثله من الماء ...وكان منظره و هو يسير في أسواق دمشق يشد انتباه المارة في الأسواق ...أما كيف كان يعيش الغزالي تلك المرحلة من عمره ، وخلال إقامته في دمشق ، فقد اختلفت في ذلك أقوال المؤرخين ، فمنهم من قال: انه كان يعيش على نسخ الكتب[3]

وظل الغزالي على هدا النمط من الحياة ، حتى اشتاقت نفسه إلى الرحيل ...فحنينه إلى أهله و موطنه قد اشتد ،فقطع عزلته وعاد إلى "طوس" ليمضي هناك فترة من الزمن ...ثم عاوده حنين الترحال ، وعاد ثانية إلى المسجد الأموي في دمشق ، و من دمشق توجه الغزالي إلى بيت المقدس ، و من بيت المقدس توجه إلى مكة المكرمة و المدينة المنورة.[4]

قضى الغزالي قرابة عشر سنين بعيدا عن موطنه وأهله، من أجل عزلته التي سعى فيها إلى عبادة الله، والاشتغال بذكره.

هكذا غادر الغزالي بغداد في شهر ذي القعدة سنة ثمان و ثمانين ، فحج و توجه إلى الشام فأقام بها عشر سنين ، قضى بعضها في بيت المقدس ، وكان غالب وقته فيها عزلة وخلوة ، و رياضة ومجاهدة

[1] نقلا عن عبد الكريم العثمان سيرة الغزالي واقوال المتقدمين، قدم له الدكتور احمد فؤاد الاهواني، دار الفكر، دمشق، ص32.

[2] عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط2 ،1977، ص 22.

[3] أبو حامد الغزالي ، نوابغ العرب، دار العودة، بيروت، 1986،ص، ص 42-43.

[4] المصدر نفسه، ص، ص 43-44.

للنفس ، واشتغالا بتزكيتها ، و تصفية القلب لله تعالى ، وكان يعتكف في منارة مسجد دمشق طول النهار.[1]

ويشرح لنا الغزالي عودته إلى التعليم ، وأنها كانت بأسلوب جديد ، ونية جديدة و هدف جديد يختلف كل الاختلاف عما كان عليه سابقا فيقول :<< وأنا اعلم أني وان رجعت إلى نشر العلم، فما رجعت ، فان الرجوع عود إلى ما كان ، وكنت في الزمان انشر العلم الذي به يكسب الجاه ، و ادعوا إليه بقولي وعملي ، وكان ذلك قصدي ونيتي ، وأما الآن فادعوا إلى العلم الذي به يترك الجاه و ويعرف به رتبة سقوط الجاه هذا هو الآن نيتي و قصدي وأمنيتي ، يعلم الله ذلك مني>>[2]

1/2_ب : الغزالي يشرح الخلوة و العزلة الصوفية الصحيحة:

بعد ذلك يأخذ الغزالي في شرح العزلة و الخلوة الصوفية الصحيحة قائلا:-

<< إن أول الشروط التي يجب أن يسير عليها البادئ في هذا الطريق هي:

أولا: " تطهير القلب بالكلية عما سوى الله" وهذا أول شروطها

ثانيا: " استغراق القلب بالكلية بذكر الله" وهذا مفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة

ثالثا: "الفناء بالكلية في الله" وهذا آخرها > [3]

ويقول في إحيائه شارحا هذه العزلة و تلك الخلوة:

<< إن ذلك يكون بقطع علائق الدنيا بالكلية، وتفريغ القلب منها، وبقطع الهمة عن الأهل، والمال، والولد، و الوطن، وعن العلم و الولاية بالجاه، بل يصير الشخص في حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه، ثم يخلو بنفسه في زاوية، مع الاقتصار على الفرائض و الرواتب، ويجلس فارغ القلب، مجتمع الهم، لا يشغل فكره بقراءة قرآن، أو تأمل في تفسير، أو كتاب حديث، أو نحو ذلك، بل يجتهد ألا يخطر بباله شيء، سوى الله تعالى، فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه: الله..الله..الله على الدوام، مع حضور القلب، حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك لسانه، ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه، إلى أن

[1] صالح احمد الشامي ، الإمام الغزالي، دار القلم، دمشق، ط1 ،1993،1413، ص25.

[2] المرجع نفسه، ص، ص 26-27.

[3] الدكتور عبد الدايم أبو العطا البقري الأنصاري ، اعترافات الغزالي أوكيف أرخ لنفسه ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص 130.

تمحي من القلب صورة اللفظ، وحروفه و هيئته، ويبقى معناها مجردا في قلبه، حاضرا فيه لازما له، لا يفارقه >>[1]

1/2_ج: الباعث على العزلة عند الغزالي:

<< فإن قلت فما يبعثني على العزلة عن الناس، و التفرد ويهون علي ذلك؟ فاعلم أن الذي يهون عليك ذلك ثلاثة أمور:

أحدها: استغراق أوقاتك في العبادة، فإن في العبادة شغلا، وإن الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس...و الثاني: قطع الطمع عنهم بمرة، فيهون عليك أمرهم، لأن من لا نرجو نفعه، و لا نخاف ضره، فوجوده و عدمه سواه، والثالث: تبصر آفاتهم وتذكر ذلك و تكرره على قلبك، لأن هذه الأذكار الثلاثة إذا لزمتها، طرحت بك عن صحبة الخلق إلى باب الله تعالى، و التفرد لعبادته وحببنه إليك، و ألزمتك بابه، وبالله التوفيق و العصمة. >>[2]

ينصح الغزالي المقبل على العزلة كيف يهون عليه مقاطعة الخلق، و التفرد بنفسه، بثلاثة أمور، ألا وهي إشغال النفس بالعبادة مما سيغنيك ذلك عن ملاقاة الناس و كلامهم، و الأمر الثاني عدم الاتكال عليهم و الحاجة إليهم فإذا وقع هذا أصبح وجود الناس كعدمهم، أما الأمر الثالث: لنظر إلى آفات الخلق وتذكر ذلك في كل حين، فإذا التزم المقبل على العزلة هذه الأذكار الثلاثة هانت عليه صحبة الخلق ولزم باب الله و طاعته.

وبعدما بلغ هدا المبلغ السامي من الرقي الدنيوي طرأ على حياته بغتة طارئ الانقلاب ، وذلك انه كلما أمعن في دراسته للحياة العلمية و الخلقية و الدينية والسياسية و المدنية في عصره ، ازدادت

نفسه ثورة عليها و معاداة لها و أهاب به ضميره...فلبى نداءه و نفض يديه آخر الأمر من جميع الامتيازات و الفوائد والمنافع و المشاغل التي كان فيها واثر الزهد وخرج من بغداد سائحا في

[1] نقلا عن عبد الدايم أبو العطا البقري الأنصاري، اعترافات الغزالي أو كيف أرخ لنفسه، دار النهضة العربية، القاهرة ، ص، ص 130-131.

[2] نقلا عن أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، مناهج العابدين إلى جنة رب العالمين، تحقيق الدكتور محمود مصطفى حلاوني ، ط1، مؤسسة الرسالة ، 1409هـ، 1989 ، ص 108.

ارض الله ففكر و تبصر في الخلوات و العزلات ثم مشى بين عامة المسلمين فسبر غور حياتهم و بقي مدة من السنين يطهر روحه بطول الرياضة و المجاهدة.[1]

كلما تمعن الغزالي في حياته من كل جوانبها، كلما طالبت نفسه بالتغيير، وفي آخر المطاف، تخلى على جميع المشاغل، بحث عن اليقين في الخلوات.

غادر بيته في الثامنة و الثلاثين من عمره فرجع إليه في الثامنة و الأربعين بعد عشر كامل ، و الذي قام به من العمل بعد هذا التفكير المتواصل و التأمل المطرد و المشاهدة المستمرة أن تاب من التعلق بالملوك ومن قبول عطاياهم ومراتبهم و عاهد الله على تجنب المجادلة و التعصب ...وانشأ في طوس تحت إشرافه دارا مستقلة للتعليم و التدريس .[2]

ترك الغزالي مرافقة الملوك والمراتب العليا التي بلغها، بعد جهد من التفكير و التأمل، وغير أسلوبه في التدريس من المجادلة و التعصب.

أحس الغزالي أن الله تعالى اختار له طريق العزلة و ترك الدنيا و الانشغال بتهذيب النفس وطلب العلم وأن الله بعث في صدره من النور ما أدى به إلى الحقيقة.

يقول الغزالي في كتاب روضة الطالبين و عمدة السالكين: في الأنس بالله:-

<< (وأما) الطمأنينة فهي وجود من بعد اعتدال بفرح واستبشار لمعرفة القلب بالمزيد وهي مستصحبة مع الأنس لأنها مقصودة في ذاتها والسكينة وسيلة تحثها على الأدب والاعتدال، ومن ثمرات المحبة

الانبساط و الادلال وذلك أن الأنس إذا دام أنسه واستحكم و لم يشوشه قلق القلب لقصور نظره على طيب حالهُ مر ذلك انبساطا في الأقوال و الأفعال و المناجاة >>[3]

الطمأنية توجد بعد استقرار جاء بعد ريب، مصحوبة بالأنس، وهذا الهدوء النفسي يقود إلى أدب الأخلاق و منه إلى السعادة النفسية، و إذا لم ينقطع ذلك الأنس بقلق القلب لقصوره على إدراك ذلك الحال الطيب، امتدت ذلك الاعتدال في الأخلاق إلى الأفعال و الأقوال.

[1] أبي حامد الغزالي ، مقاصد الفلاسفة، حققه وقدم له محمود بيجو، مطبعة الصباح، دمشق ، ط1 ،1420،2000، ص5.

[2] المصدر نفسه، ص، ص 5-6.

[3] أبي حامد محمد الغزالي ، روضة الطالبين وعمدة السالكين ، صححها محمد بخيت ، دار النهضة الحديثة ، بيروت ، لبنان ، ص 78.

و يقول:

<< (وقد) يكون من الأنس الأنس بطاعة الله وذكره و تلاوة كلامه، وسائر أبواب القربات، وهذا القدر من الأنس نعمة من الله تعالى و منحة، ولكن ليس هو حال الأنس الذي يكون للمحبين والأنس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه بصدق لزهد وكمال التقوى وقطع الأسباب و العلائق ومحو الخواطر و الحواجز >>[1]

و الأنس درجتين عند الغزالي، فالأول أنس بطاعة الله تعالى من قراءة للقرآن، وصلاة و ذكر و غيرها من القربات، وهذا من أنعم الله على خلقه، أما الثاني فيكون للمحبين يتجسد في طهارة السرائر بالزهد والتقوى الخالصة لله و قطع العلائق و الرغبات.

[1] أبي حامد محمد الغزالي ، روضة الطالبين وعمدة السالكين ، صححها محمد بخيت ، دار النهضة الحديثة ، بيروت ، لبنان ، ص 81.

3/ المبحث الثالث الغزالي والتصوف

1/3_ الغزالي و التصوف

انكشف للغزالي اليقين الذي كان يبحث عنه في الطريقة الصوفية، وأقر أنهم على حق، فاتبع سيرتهم وأخلاقهم.

تجلت له الحقيقة التي كان يتلهف شوقا إليها، فهدأت نفسه وذهب قلقه وأدرك أن طريق الصوفية هو الطريق الحق، فلن يعود بعد ذلك حائرا، فقد ذكر بما ينبغي، ولن يعود باحثا عن منهج اليقين بعد، فقد وجده في الصوفية <<أنهم السالكون لطريق الله تعالى و خاصة أن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق و أخلاقهم أزكى الأخلاق...، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم و باطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به>> [1]

و إذا كان الغزالي قد اتجه إلى التصوف واتخذه سلوكا ومنهجا فليس معنى ذلك أنه أهمل العقل، بل إنه قد استخدم العقل في سلوك طريق القوم.[2]

إذن عرف الغزالي كل ما كانت تتوق إليه نفسه ووجد بغيته في التصوف وذلك بعد أن درس وعرف كل علوم عصره، فلم يترك كتابا في عصره إلا قرأه، ولا مذهبا إلا وحاول الإطلاع عليه والوقوف على أسراره، ولا مشكلة من المشاكل إلا وبذل ما في وسعه لحله...، و بعد أن طوف في آفاق المعرفة لم يرق سوى التصوف.[3]

جعل الغزالي العلم من الأولويات لسالك طريق العبادة، و العمل بغيره لا يكون.

و مما يذكر له أنه نبه على ضرورة (العلم الشرعي) لسالك الطريق، خلافا لما كان شائعا بين كثير من المتصوفة، أن العلم حجاب، وقد جعل أول كتاب من كتب الإحياء (كتاب العلم) و أول عقبة يجب أن يجتازها العابد هي العلم، وأكد أن السعادة لا تنال إلا بالعلم و العمل[4]

---

[1] نقلا عن عبد الفتاح محمد سيد أحمد ، التصوف بين الغزالي و ابن تيمية، دار الوفاء ، ط1 ، 1420هـ،2000م، ص، ص 19-78.

[2] الرجع نفسه ، ص 79.

[3] المرجع نفسه ، ص 81.

[4] عبد الفتاح محمد سيد أحمد ، التصوف بين الغزالي و ابن تيمية، دار الوفاء ، ط1 ، 1420هـ،2000م، ص 176.

أكد الغزالي على أهمية العلم لسالك طريق العبادة لأن الله عز وجل ذكر في كتابه قيمة العلم ومنزلة العلماء، وما مدى حاجة الإنسان إليه، كما في سورة المجادلة وكما قال تعالى: << يرفع الله الذين آمنوا وأوتوا العلم درجات>>[1] الآية 11 من سورة آل عمران

وعلم الصوفية أسمى هذه العلوم وأكثرها يقينا وحقا، و قد عبر عن ذلك بقوله: << إني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الحق خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق >>[2]

تيقن الغزالي بعد طول بحث و إحصاء في العلوم أن التصوف هو الطريق الحق ، وان الصوفية هم أفضل سيرة و طريقة و أخلاقا .

وليس على أدل على تباين الفلسفة و علم الكلام و التصوف مما أورده الغزالي في " المنقذ من الضلال" حيث يصور تقلبه بين هذه الدراسات إذ يقول : << أما بعد ، فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها ، وغائلة المذاهب و أغوارها ، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك و الطرق....و ما استفدته أولا من علم الكلام ، و ما إجتويته ثانيا من طرق أهل التعلم لدرك الحق على تقليد الإمام ، و ما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف، و ما ارتضيته آخرا من طريق التصوف >>[3]

لقد ارتضى الغزالي في الأخير طريق التصوف واجتابه على غيره من طرق المتكلمين و الباطنية والفلاسفة.

يقول الغزالي : ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض ، بفضله وسعة و سعة جوده ، انحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق: المتكلمون وهم يدعون أنهم أهل الرأي و النظر، الباطنية وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم و المخصصون بالاقتباس من الإمام المعصوم ، الفلاسفة وهم يدعون أنهم أهل المنطق و البرهان ، الصوفية و هم يدعون أنهم خواص الخضرة و أهل المشاهدة والمكاشفة...فابتدرت

[1] الآية 11 من سورة آل عمران.

[2] نقلا عن علي ابو ملحم، الفلسفة العربية مشكلات وحلول، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1414هـ، 1994م، ص 193.

[3] نقلا عن أحمد فؤاد الاهواني ، قضايا اسلامية ، الفلسفة الاسلامية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1985 ، ص 28.

لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ما عند هذه الفرق : مبتدأ بعلم الكلام ومثنيا بطريق الفلسفة ، ومثلثا بتعليم الباطنية ، ومربعا بطريق الصوفية.[1]

و إذا كان الغزالي معدودا في رأس المتصوفة التقية الزاهدة الورعة، فإن ذلك حق أيضا، ولكن ينبغي أن يكون معروفا أنها ليست صوفية البله من العوام، ولكنها صوفية الخاصة، صوفية مستنيرة جادة مجاهدة في طلب المعرفة، وسبيل الوصول عندها إلى الحقيقة ذلك الجد الذي يقتحم كل واد من أودية المعرفة: المعرفة التي يرضاها، و المعرفة التي ينكرها، و المعرفة التي قد يسلم بها ولكنه لا يأخذ بها.[2]

وقد ساق الغزالي كثيرا من شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة، لا من التعلم، ولا من الطريق المعتاد، من ذلك قوله تعالى: << ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب >> أي مخرجا من الإشكالات و الشبه، ومعنى يرزقه من حيث لا يحتسب: يعلمه علما من غير تعلم، ويفطنه من غير تجربة... و قال صلى الله عليه وسلم << اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله >>... وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو؟ فقال:<< هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا>>.[3]

وهكذا انتهى الغزالي إلى أن الكشف الصوفي أو الإلهام هو أبرز مظاهر المعرفة اليقينية بعد الوحي، وهو عطاء يفيض به الله تعالى على قلب الصوفي العارف إذا ما كان العارف يملك الاستعداد لهذا الكشف الوهبي العظيم، وهذه المعرفة القلبية الكشفية تكون مصحوبة ببرد اليقين، ونور اليقين عند المؤمنين و الراسخين في العلم، وهذا النور الفياض يغمر القلب فيتضح معه كل شيء.

[1] نقلا عن صالح احمد الشامي، الامام الغزالي، دار القلم، دمشق، ط1993،1413،1، ص، ص 69-70.

[2] بدوي طبانة ، إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا سماراغ ، ج1 ، ص 16.

[3] نقلا عن بدوي طبانة، المصدر نفسه، ص 36.

رفض الغزالي التصوف الذي يخرج عن التصوف السني في الإسلام

وتصوف الغزالي يمثل التصوف السني في الإسلام، فقد رفض نظريات الحلول والاتحاد عند الحلاج التي نتج عنها فيما بعد فكرة وحدة الوجود عند ابن عربي في القرن السابع الهجري، وبين الغزالي أن العبد عبد و الرب رب، ولن يكون أو يصير أحدهما الآخر البتة.[1]

2/3_ التصوف النقي كما يراه الغزالي:

انتهى الغزالي إلى أن التصوف أصوب الطرق في الوصول إلى اليقين الذي كان ينشده ويبحث عنه يقول: << إني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوا بما هو خير منه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلا، فإن جميع حركاتهم و سكناتهم، في ظاهرهم و باطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة >>.[2]

المجاهدة في نظر الغزالي هي بداية طريق البحث عن اليقين، وهذه المجاهدة تكون بالإقبال على الله تعالى وترك ملذات الدنيا.

ويرى أن إدراك هذا الطريق لا وصول إليه بالتعليم فحسب، و إنما لابد من الذوق من خوض التجربة ومعاناتها معاناة حقيقية، وهذا الطريق يبدأ بالمجاهدة، مجاهدة النفس << إن الطريق إلى ذلك إنما هو تقديم المجاهدة، أو محو الصفات المذمومة و قطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل كان الله المتولي لقلب عبده و المتكفل بتنويره بأنوار العلم >>وهذه شهادة صريحة من الغزالي بأن التصوف الإسلامي الأصيل في صحيحه " تجربة روحية".[3]

---

[1] عامر النجار، نظرات في فكر الغزالي، شركة الصفا ، ص 117.

[2] نقلا عن عبد الفتاح محمد سيد أحمد ، التصوف بين الغزالي و إبن تيمية ، دار الوفاء ، المنصورة ، 1420هـ 2000م، ط1 ، ص 174.

[3] المرجع نفسه ، ص 174.

قواعد السلوك التي يجب على سالك طريق الصوفية التزامها عند الغزالي:

1/ أن يلتزم بالخلوة: لأنها تؤدي إلى تفريغ القلب عن الشواغل الدنيوية التي تشكل العقبات الرئيسية في الطريق (إذ ليس سلوك الطريق إلا قطع العقبات، ولا عقبة على طريق الله تعالى إلا صفات القلق التي سببها الالتفات إلى الدنيا)

2/ و على السالك أن يلتزم بالصمت: لأن الكلام يشغل القلب، بينما الصمت يزكي العقل ويجلب الورع، ويعلم التقوى ولا يعني بالصمت الامتناع عن الكلام مطلقا وإنما معناه ألا يتكلم إلا بقدر الحاجة

3/ وعليه أن يلتزم بالجوع بالقدر الذي يذهب به شهواته ويدرب بدنه تحقير الملذات و الشهوات.

4/ وعليه أن يلتزم بالسهر في ذكر الله، فإنه يجلو القلب ويضفيه و ينوره، وبالخلوة و الصمت والجوع.[1]

في نظر الغزالي أنه على السلك لطريق الصوفية أن يلتزم بالشروط المذكورة من أجل بلوغ اليقين.

3/3_ تأثير الغزالي في التصوف:

فإن الغزالي عمل على تنقية التصوف من الأفكار الدخيلة حتى يسير التصوف في ركاب القرآن و السنة، فرفض في حزم تصوف أهل الحلول و الإتحاد كالحلاج وغيره، ولم يقبل إلا التصوف السني القائم على الكتاب و السنة، واجتهد أن يرد كل فكرة أو خلق أو سلوك أو حال– مما يقول به الصوفية– إلى أصول إسلامية، وأن يستقل عليها بالقرآن و الحديث و الأثر... ونجح في ذلك إلى حد بعيد.[2]

و في سبيل تنقية التصوف فإنه رفض التأويلات الباطنية التي تخرج بالنصوص الشرعية عن مقتضى ظواهرها...ولم يغفل عن التنبه على المغترين من المتصوفة، برغم دعواهم أنهم أهل الله وأصحاب[3]

[1] نقلا عن عبد الفتاح محمد سيد أحمد، التصوف بين الغزالي وإبن تيمية، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1420هـ 2000م، ص، ص 175–174.

[2] المرجع نفسه ، ص 176.

[3] المرجع نفسه ، ص، ص 176–177.

ومن أهم ما أبرزه الإمام الغزالي في التصوف أنه نقله من مجرد الذوق و التحليق والشطح و التهويل، إلى علم أخلاقي عملي، يعالج أمراض القلب وآفات النفوس و يزكيها بمكارم الأخلاق[1]

و قد بنى الغزالي أركان التصوف السني بعيدا عن الإتحاد و الحلول، وقد بدا جليا هجومه العنيف على هذا النوع من التصوف في كتابه هذا " المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" إذ يفند فيه فكرتي الحلول و الإتحاد..فالغزالي لا يمث إلى التصوف الفلسفي بأي صلة ويهاجم عقائدهم المبنية على فكرتي الإتحاد و الحلول.

ومما يذكر له أنه نبه على ضرورة " العلم الشرعي" لسالك الطريق، خلافا لما كان شائعا بين كثير من المتصوفة، أن العلم حجاب، وقد جعل أول كتاب من كتب "الإحياء" (كتاب العلم) وأول عقبة يجب أن يجتازها العابد هي العلم، وأكد أن السعادة لا تنال إلا بالعلم و العمل.[2]

نجح الغزالي في مزج التصوف بالمنهج السني، وصد الكثير من الفتن ضد المتصوفة كأفكار الحلاج.

واستطاع الغزالي أن يرجع التصوف إلى المنهج السني فأحيا التصوف على المنهج السني بعد نكبة التصوف لدى مدرسة الحلاج وما أثاره من فتن ضد المتصوفة عامة، حتى أصبح التصوف لدى الغزالي دينا، وأصبح الدين صوفيا، وكانت مهمته ناجحة في أنه عمق روحانية الإسلام في العبادات والمعاملات.[3]

خص الغزالي التصوف بكتب عديدة طبع منها أكثر من عشرين نذكر منها " إحياء علوم الدين " و" آداب الصوفية " و الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة " و " مناهج العابرين إلى الجنة " و " مشكاة الأنوار "، كان لهذه الكتب دورها الفعال في تقريب وجهتي نظر السنيين و المتصوفة و التخفيف من العداء الذي كان قائما بينهما[4]

---

[1] عبد الفتاح محمد سيد أحمد ، التصوف بين الغزالي و إبن تيمية ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط1 ، 1420هـ 2000م، ص 177.

[2] عبد الفتاح محمد سيد أحمد التصوف بين الغزالي وابن تيمية، دار الوفاء ، المنصورة، ط1 ، 1420هـ،2000م، ص 176.

[3] المرجع نفسه ، ص 177.

[4] محي الدين عزوز، اللامعقول و فلسفة الغزالي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1983 ، ص 152.

الحلاج: سلك في التصوف مسلكا و عرا، كان يدعو إلى فكرة الإتحاد و الحلول.

الفصل الثاني : الإنتاج المعرفي للغزالي قبل الخلوة

- المبحث الأول : في علم الكلام
- المبحث الثاني: في الفلسفة
- المبحث الثالث: في نقد الفرق كالباطنية

أسباب كثيرة دفعت أبي حامد الغزالي إلى الكتابة في كل من الفلسفة و علم الكلام ومذهب التعليم أو الباطنية، إذ أنه أراد معرفة حقيقة كل منها، حيث درس المذاهب من خلال العودة إلى مصادرها الموجودة في عصره، و بعد الانتهاء من التفحص والتدقيق فيها، حرر فيها كتبا لإثبات صحة معلوماته فيها، ثم جرر كتبا أخرى للرد عليها و نقدها و الهجوم عليها، فقد ألف الغزالي في الفلسفة من أجل دفع الشكوك، و التصدي لما جاءوا به من شبهات، وألف في علم الكلام كتبا لمعرفة فروع علم التوحيد ودقائقه و الإتيان على جميع مسائله، للباحثين و الدارسين له من جهة، وكتبا للعوام من الناس من جهة أخرى، فيها ما يحتاجون له، مقدار ما يعرفون به أصول الدين، كما ألف في صد ونقد الفرق و المذاهب، أذكر بالخصوص مذهب التعليمية أو فرقة الباطنية، حيث ألف فيها كتبا ذكر فيها أغلاطهم و كشف أهدافهم، وأذكر للغزالي الكتب التي جاءت في هذا الصدد، قبل الخلوة: مقاصد الفلاسفة، تهافت الفلاسفة، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، معارج السالكين، الرسالة اللدنية، إلجام العوام عن علم الكلام، المستظهري أو فضائح الباطنية، مآخذ الخلاف، لباب النظر، حجة الحق، فيصل التفرقة بين الإسلام الزنادقة، جواب مفصل الخلاف، معيار العقول، شفاء العليل، المبادئ والغايات، خلاصة المختصر...وغيرها ومنه ما هو بعد الخلوة من الكتب التي حررها في هذه الموضوعات الثلاث، وكتبا أخرى كمعيار العلم، محك النظر في المنطق، ميزان العمل، وما سأتطرق لتفصيله من بين هذه الكتب اخترت له أشهرها كالمقاصد و تهافت الفلاسفة في الفلسفة، و الاقتصاد في الاعتقاد، في علم الكلام، و فضائح الباطنية، في الرد على مذهب التعليمية، وكل هذه الكتب تم تأليفها قبل الخلوة، درس الغزالي المذاهب الفكرية الموجودة في عصره من الفلاسفة، والمتكلمين، و الباطنية، واطلع على كتب المحققين منهم، وألف في علومهم ما أراد، فاخترنا مصنف أو مصنفين له في كل من هذه المذاهب التي كتب فيها، كتاب تهافت الفلاسفة ومقاصد الفلاسفة في الفلسفة، و الاقتصاد في الاعتقاد في علم الكلام، و فضائح الباطنية في الرد على الفرق.

1/ المبحث الثالث : الغزالي و علم الكلام

1/ 1 _ عرض موقف الغزالي من مذهب علم الكلام :

يقول الغزالي :<< ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض ، بفضله وسعة و سعة جوده ، انحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق: المتكلمون وهم يدعون أنهم أهل الرأي و النظر، الباطنية وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم و المخصصون بالاقتباس من الإمام المعصوم ، الفلاسفة وهم يدعون أنهم أهل المنطق و البرهان ، الصوفية و هم يدعون أنهم خواص الخضرة و أهل المشاهدة والمكاشفة...فابتدرت لسلوك هذه الطرق ، واستقصاء ما عند هذه الفرق.>> [1]

ما من شك أن الغزالي ألف كتبا في علم الكلام ، وكان ذلك قبل مراجعة حسابه التي نتحدث عنها ونترك الكلام له يحدثنا عن ذلك :<< إني ابتدأت بعلم الكلام ، فحصلته ، وعقلته و طالعت كتب المحققين منهم ، و صنفت فيه ما أردت أن أصنف ، فصادفته علما وافيا بمقصوده ، غير واف بمقصودي ، وإنما مقصوده حفظ عقائد أهل السنة ، وحراستها عن تشويش أهل البدعة.[2]

تفحص الغزالي علم الكلام و دقق فيه، وصنف كتبا كثيرة فيه، ولم يجد مبتغاه في هذا العلم.

ولهذا لما تحدث الغزالي في كتابه (الإحياء) عن العلوم ولم يعد الكلام علما و وقال :

<< اعلم حاصل أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها، فالقرآن و الأخبار مشتملة عليه ، و ما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة و هي من البدع .. وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها ، وتطويل بنقل لمقالات أكثرها ترهات و هذيانات ، تزدريها الطباع ، وتمجها الأسماع ، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين >>[3]

يتضح من كلام الغزالي أنه اسقط هذا العلم من قائمة العلوم ، ولم يعده علما ، وذلك : لعدم وفائه بمقصوده ، انه لم يكن في السلف ، وهو مغاير لمنهجهم ، وهو موقف جديد اتخذه بعد مراجعة الحساب.

---

[1] نقلا عن صالح احمد الشامي، الامام الغزالي، ط1، دار القلم، دمشق ،1993،1413، ص، ص 69-70.

[2] نقلا عن صالح الشامي، المرجع نفسه، ص 71.

[3] نقلا عن صالح الشامي، نفس المرجع، ص 72.

2/1 _دراسته لعلم الكلام :

درس الغزالي علم الكلام، ووجد المتكلمين يرجعون إلى التقليد، كان الغزالي رافضا له، راغبا للتجديد.

ولكن اعتمدت طائفة من المتكلمين في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم و اضطرهم إلى التسليم بها إما :

التقليد، إجماع الأمة، أو لمجرد أنها من الأخبار أو القرآن...ثم يقول بعد ذلك: "ولهذا لم يكن الكلام في حقي كافيا، ولا لدائي الذي كنت اشكوه شافيا " نعم، قد حصل لغيري بسبب علم الكلام،ما أنقذه من ظلمات الحيرة ،ولكن كان حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الأمور ،التي ليست من الأولويات".[1]

هذا يعني أن الغزالي يعرف دور علم الكلام في الدفاع عن العقيدة إمام المبتدعة كما انه اعتبره من علوم اللباب لا علوم القشور وقد ألف كتب كلامية متعددة من أهمها "الاقتصاد في الاعتقاد و " الدرة الفاخرة" ، ويتضح أن الغزالي كان موضوعيا

واستمع الى الغزالي قائلا في هذا الصدد : << فقد ألقى الله سبحانه وتعالى إلى عباده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم و دنياهم كما نطق بمعرفته القرآن و الأخبار، ثم ألقى الشيطان في وسواس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة فلهجوا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها ، فأنشأ الله سبحانه وتعالى طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة المأثورة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ الكلام و أهله >>.[2]

ويحدثنا الغزالي بأنه ابتدأ بتعلم علم الكلام فدرسه ووقف على وثائقه و أسراره و صنف فيه، ويرى الغزالي أن علم الكلام يفي و يحقق الغاية منه، وهي حفظ عقيدة أهل السنة، والرد على المبتدعة والمخالفين... فغاية علم الكلام ومقصوده في نظر الغزالي ليست معرفة الحقيقة كما هي و إنما الدفاع عن عقيدة أهل السنة ضد الخصوم و المبتدعة [3]

[1] نقلا عن عبد الدايم أبو العطا الأنصاري، اعترافات الغزالي أو كيف أرخ لنفسه ،دار النهضة العربية ،القاهرة، 1971، ص، ص 66-67.

[2] نقلا عن أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، دراسات الفلسفة الإسلامية، دار الحمامي للطباعة ، القاهرة، ط1 ، 1957، ص 7.

[3] فتح الله خليف فلاسفة الإسلام ، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، ص 241.

رأى الغزالي أن المتكلمين خاضوا في مواضيع قادتهم إلى الخروج عن مقصود علم الكلام:

غير أن المتكلمين تخطوا هذه الغاية عندما كثر النقاش وطال الزمن إلى البحث عن حقائق الأمور فتكلموا في الجواهر و الأعراض ما هما، ولكن ذلك لم يكن على كل حال مقصودهم الأصلي فجاء كلامهم فيه غير شاف...إلا انه لا يحقق الغاية التي يرجوها الغزالي و هي إزالة الحيرة و الاطمئنان إلى علم يشفي غليله و تعطشه للحق و الحقيقة، فعلم الكلام كما يرى الغزالي يحقق الغرض منه، ولكنه لا يفي بمقصود الغزالي.[1]

يقصد الغزالي أن مقصود علم الكلام هو حفظ العقيدة لإنسان نشأ مسلما و أخذ مبادئه وعقيدته من القرآن و السنة، أي حفظهما من كل شكوك يضعها أعداء الإسلام حول مبادئ و أصول الدين...وأما مقصود الغزالي فقد كان إدراك قواعد الدين إدراكا يقينيا واضحا يستند إلى العقل.[2]

مقصود علم الكلام لم يتماشى مع مقصود الغزالي الذي كان يطلبه، ولم يكن في حقه كافيا، ولا لدائه شافيا.

ومقصود هذا العلم حراسة عقيدة العوام من تشويش المبتدعة ، و طبيعي أن هذا يعني أن الغزالي يعرف دور علم الكلام في الدفاع عن العقيدة أمام المبتدعة، كما اعتبره من علوم اللباب لا علوم القشور، وقد ألف كتبا كلامية متعددة من أهمها "الاقتصاد في الاعتقاد " و الدرة الفاخرة "[3]

و الخلاصة: أن الغزالي بعد أن درس علم الكلام وصنف فيه ما أراد أن يصف وجده غير واف بمقصوده وهو إدراك قواعد الدين إدراكا يقينيا واضحا يستند إلى العقل. فإن علم الكلام في نظره هو :

طريق لحفظ العقيدة على الإنسان نشأ مسلما وأخذ مبادئه من القرآن و السنة .

إقامة البرهان على وجود الله تعالى وصفاته و أفعاله وصدق الرسل عليهم السلام.

---

[1] فتح الله خليف فلاسفة الإسلام ، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، ص 241.

[2] عبد الفتاح محمد سيد أحمد ، التصوف بين الغزالي و ابن تيمية، دار الوفاء ، 1420هـ،2000م ، ط1، ص 59.

[3] المرجع نفسه ، ص 59.

أدلة المتكلمين لا يستفيد منها عامة الناس في نظر الغزالي، فأفكارهم ليست سهلة المنال عند البعض، ولا يجوز لهم اللجوء إلى أدلتهم لأنها لا تنفعهم.

يقول الغزالي:<< إن أدلة المتكلمين كالدواء ينتفع به آحاد الناس و يستضر به آخرون فيجوز أن يكون ذكر أدلة المتكلمين أحد أسباب الإيمان في حق بعض الناس .[1]

فقد شك الغزالي في فائدة علم الكلام وقال إنه عاجز عن الوصول إلى اليقين و إزالة الشكوك من النفوس ، وهو كالدواء لا ينبغي إلا في حالات المرض ، ولذل لا ينبغي أن نلتجئ إلى علم الكلام مع الناس المؤمنين الذين خالجهم بعض الشك في إيمانهم ، إن فائدة علم الكلام محدودة بنظره ، فإن كان قد وفق في الدفاع عن عقيدة اهل السنة و إيقاف المبتدعة عند حدهم ، إلا انه لم ينجح في إزالة الحيرة من القلوب و الشك من النفوس << إن الإيمان نور يقذفه الله في القلب ببينة داخلية أو رؤيا أو تأثر برجل متدين أو قرينة حال ، ولا تسبب أدلة المتكلمين الإيمان إلا نادرا >>[2]

وبما أن فكر الغزالي مر بمراحل تطور عبرها لذا يمكن التماس موقفه النهائي من علم الكلام في المنقذ الذي ألفه في المرحلة الأخيرة من حياته ، إن هذا العلم بنظره يفي بمقصوده ولكنه غير واف بمقصود الغزالي ، إن مقصود علم الكلام هو الذب عن العقيدة أهل السنة ، وقد أحسن المتكلمون السنة في الذب عن العقيدة المتلقاة بالقول من النبوة ، وصمدوا بوجه المبتدعة ، اما مقصود الغزالي فهو بلوغ اليقين... لذا كان كلامهم غير كاف في حق الغزالي و غير شاف لدائه الذي كان يشكوا منه وهو الحيرة >>[3]

3/1 _ موقفه من المتكلمين :

يذهب الغزالي إلى أن الله قد انشأ طائفة المتكلمين و بعد أن تضاربت النحل ،و تعدد الملل وكثرت البدع المحدثة التي زعزعت الإيمان في النفوس ، وحادث بها عن سواء السبيل ، فنهض المتكلمون للسنة ، وتحركت دواعيهم للذود عنها ، ودافعوا عن العقيدة و يستخرجون مناقضات الخصوم و ويسفهون حجج المبدعين .[4]

---

[1] نقلا عن عبد الفتاح محمد سيد أحمد ، التصوف بين الغزالي و ابن تيمية، دار الوفاء، ط1 ، 1420هـ،2000م ، ص، ص 61-62.

[2] نقلا عن علي أبو ملحم الفلسفة العربية مشكلات و حلول ، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت لبنان ، 1414هـ،1994، ص 34.

[3] المرجع نفسه ، ص 35.

[4] يوسف فرحات، الفلسفة الاسلامية و اعلامها، الشركة الشرقية للمطبوعات ،دمشق ،ط1 ،1986، ص 127.

غير أن للغزالي مآخذ عديدة أهمها :

إن " أهل الرأي والنظر" هؤلاء خاضوا في البحث عن الجوهر و الأعراض، اتبعوا في دفاعهم عن السنة أساليب خصومهم، ومقدماتهم المنطقية ، وطبيعة هذه الأساليب والمقدمات مناقضة لطبيعة الدين، عاجزة عن إدراك حقيقة الإيمان .

كما ذكر الغزالي في كتابه " إلجام العوام عن علم الكلام " : << أن أدلة القرآن مثل الغداء ينتفع بها كل إنسان و أدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس، و يستضر به الأكثرون، بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع و الرجل القوي وسائر الأدلة كالأطعمة التي التي ينتفع بها الأقوياء مرة، ويمرضون بها أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلا>>.[1]

ضرب الغزالي مثلا بالقرآن الكريم في منفعته الشاملة التي تخص العام و الخاص الكبير و الصغير على عكس علم الكلام بالرغم

من منفعته المحدودة غير أنه يملك جانبا ضارا يمس الذين لم يحصلوا من العلوم الدينة الزاد الوافر.

وأنكر الغزالي على عوام الناس أن يشتغلوا بعلم الكلام و قال: << إن دين عوام الناس ينبغي أن يكون صافيا نقيا بعيدا عن تعقيدات الجدليين و المتكلمين، ولهذا ينبغي إلجام العوام عن علم الكلام >>[2]

يوضح لنا الغزالي في كتابه الذي يدل اسمه على مبتغاه حيث يرى أنه لا يجب على عوام الناس ألا يخوضوا في علم الكلام و يشتغلوا به حتى لا يصيب إيمانهم من الشك و الريب .

2/ كتاب الاقتصاد في الاعتقاد488،489 هـ

2/ 1_ كتاب " الاقتصاد في الاعتقاد ":

عرض الكتاب عبارة عن أربعة تمهيدات تجري مجرى التوطئة و المقدمات، وأربعة أقطاب تجري مجرى المقاصد و الغايات:

- التمهيد الأول: في بيان أن هذا العلم من المهمات في الدين.

[1] نقلا عن عبد الفتاح محمد سيد أحمد، التصوف بين الغزالي و ابن تيمية، دار الوفاء ، ط1 ، 1420هـ،2000م ، ص 59.
[2] نقلا عن عبد الفتاح محمد سيد، المرجع نفسه ، ص 59.

- التمهيد الثاني: في بيات أنه ليس لجميع المسلمين بل لطائفة منهم مخصومين.
- التمهيد الثالث: : في بيان أنه من فروض الكفايات لا من فروض الأعيان.
- التمهيد الرابع: في تفصيل مناهج الأدلة التي أوردها في هذا الكتاب.

القطب الأول: النظر في ذات الله تعالى.

القطب الثاني: في صفات الله تعالى.

القطب الثالث: في أفعال الله تعالى.

القطب الرابع: في رسول الله صلى الله عليه و سلم و فيه أربعة أبواب:

الباب الأول: في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه و سلم.

الباب الثاني: فيما ورد على لسانه من أمور الآخرة.

الباب الثالث: في الإمامة وشروطها.

الباب الرابع: في بيان القانون في تكفير الفرق المبتدعة.[1]

2/2_ مقدمة الغزالي: في كتابه " الاقتصاد في الاعتقاد "

باسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اجتبى من صفوة عباده عصابة الحق وأهل السنة وخصهم من بين سائر الفرق بمزايا اللطف و المنة وأفاض عليهم من نور هدايته ما كشف به عن حقائق الدين، وأنطق ألسنتهم بحجتهم التي قمع بها ضلال الملحدين، وصفى سرائرهم من وساوس الشياطين، وطهر ضمائرهم عن نزعات الزائغين، وعمر أفئدتهم بأنوار اليقين حتى اهتدوا بها إلى أسرار ما أنزله على لسان نبيه وصفيه محمد – صلى الله عليه وسلم– سيد المرسلين.

واطلعوا على طريق التلفيق بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول، وتحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول، والحق المعقول.

وعرفوا أن من ظن من الحشوية، وجرب الجمود وإتباع الظواهر ما أتوا به إلا من ضعف العقول و قلة البصائر.

[1] السيد محمد عقيل بن علي المهدلى ، مدخل إلى دراسة مؤلفات الغزالي ، دار الحديث ، القاهرة ، ص 60.

وأن من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع ما أتوا به إلا من خبث الضمائر.

فميل أولئك إلى التفريط، وميل هؤلاء إلى الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط. بل الواجب المحترم في قواعد الاعتقاد : ملازمة الاقتصاد و الاعتماد على الصراط المستقيم.[1]

بدأ الغزالي مقدمة الكتاب بحمد الله تعالى و الصلاة على الرسول صلى الله عليه و سلم، ثم ذكر من هم أهل التفريط، و أهل الإفراط، و ما الواجب في قواعد الاعتقاد، إلى آخر المقدمة.

3/2_مضمون الكتاب:

3/2_أ التمهيدات:

بدأ الغزالي كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) بتمهيدات أربعة هي بمثابة مقدمات لكتابه، أو مبادئ ينبغي على دارس كتابه أن يلم بها قبل الخوض في دراسة تفاصيل المسائل التي تناولها الإمام بالشرح و المناقشة، حتى يتيسر لدارسه فهم تلك المسائل واستيعابها، وهذه التمهيدات هي:

- التمهيد الأول:

بين فيه أن الاشتغال بتعلم علم التوحيد من الأمور المهمة والضرورية في الدين، وأقام لنا الدليل على صحة مدعاه.[2]

يقول الغزالي: إن من أكبر مظاهر الضلال والخسران هو: أن يبذل الإنسان جهده، ويضيع وقته فيما لا يهم من العلوم والأعمال، وخير ما يجب على الإنسان أن يوجه إليه همته، ويبذل فيه جهده و طاقته هو: ما يتصل بالآخرة ومعرفة الوسائل التي بها يحقق لنفسه السعادة الدائمة فيها، يجتنب الشقاوة، وما دام الأمر كذلك، فليس غريبا أن نرى مسألة الآخرة، وما يتعلق بها من نعيم، أو عذاب أليم، هي أهم ما جاء به الرسل الكرام– عليهم و على نبينا الصلاة و السلام – مبشرين بنعيمها، ومنذرين بعذابها.[3]

---

[1] محمد ابي حامد الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد، شرح إبراهيم محمد إبراهيم حريبة، ط1 ، 1404،1983 ، ص، ص، ص 3-4-5.

[2] محمد ابي حامد الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد، شرح إبراهيم محمد إبراهيم حريبة، ط1 ، 1404،1983 ، ص 8.

[3] المصدر نفسه ، 1404،1983، ص 14.

- **التمهيد الثاني:**

يبين فيه أن تعلم علم التوحيد وان كان مهما في حق بعض الناس، فهو في حق البعض الآخر ليس بمهم، بل المهم تركه و ترتب على هذا القول: تقسيم الناس إلى طوائف بحسب أهمية تعلم هذا العلم، وعدم أهميته في شأنهم وقد أوضح لنا تلك الطوائف في هذا التمهيد.[1]

الطوائف التي قسمها الغزالي حسب أهمية تعلم علم التوحيد وعدم أهميته هم:

1. طائفة آمنوا بالله وصدقوا رسوله واعتقدوا اعتقادا يقينيا أن ما جاء به هو الحق.
2. طائفة عرفوا الحق معرفة حقيقية، لكنهم انصرفوا عنه ومالوا إلى الباطل و التزموا بالتقليد.
3. طائفة من الناس اعتقدوا الحق بالتقليد أو بالسماع، تميز هؤلاء بنوع من الذكاء جعلهم يفكرون ويبحثون في عقيدتهم أدى بهم إلى حصول بعض من الشك ووقوعهم في الشبهات فوجب أن يقدم لهم من التوضيح وإزالة الريب بالكلام المقنع إما بالقرآن الكريم و إما بالأحاديث النبوية.
4. طائفة من أهل الضلال، تميزوا بالذكاء مما ساعدهم على الخوض في المشكلات العقائدية فيحصل لهم بذلك من الشبهات، غير أن بالإمكان أن يعودوا إلى الحق و ترك طريق الضلال بمجرد زوال تلك الشبهات، بإرشادهم إلى العقائد الصحيحة بأسلوب الترغيب لا الترهيب.

- **التمهيد الثالث:**

أوضح لنا فيه العلم الشرعي لتعلم علم التوحيد فانتهت أن تعلم علم التوحيد فرض كفاية على المسلمين، وليس فرض عين بمعنى أنه إذا تعلمه البعض منهم سقط عن الجميع، وإذا لم يتعلمه أحد منهم أثم الجميع.[2]

قال الغزالي بهذا الرأي أن تعلم علم التوحيد فرض كفاية على المسلمين، وليس فرض عين، أي إذ حصل و هو محتمل الحصول خروج المبتدعة في الأمة لزرع الشبهة في قلوب المؤمنين و معتقداتهم الدينية لإغواء أهل الحق، فوجب أن يكون هناك من يتصدى لهؤلاء المبتدعة ومخالفة شبههم وإغوائهم بالتقبيح في كل قطر من الأقطار ولا يكون ذلك إلا باكتساب علم التوحيد و التمكن منه والإلمام به ، وينزع الشك ويصفي قلوب أهل السنة من الشبهات.

---

[1] المصدر نفسه ، ص8.

[2] محمد ابي حامد الغزالي الاقتصاد في الاعتقاد ، شرح ابراهيم محمد ابراهيم حريبة، ط1 ، 1983،1404، ص، ص 8-9.

- **التمهيد الرابع:**

أوضح لنا المناهج العلمية التي وقع اختياره عليها لتكون عماده في الموضوعات التي تناولها بالبحث في هذا الكتاب، وعلل لنا اختياره لهذه المناهج بكونها موجزة من جانب، وواضحة عن غيرها من جانب آخر.[1]

مناهج الأدلة التي تستخدم لإثبات العقائد كثيرة، وقد استعرض الغزالي ثلاثة مناهج في كتابه هذا "الاقتصاد في الاعتقاد"، وقع اختياره عليها لتكون عماده في عرضه للمسائل ومناقشة الآراء في هذا الكتاب، ويرجع اختياره لهذه المناهج إلى عاملين:

1. كون هذه المناهج موجزة عن غيرها.
2. كونها واضحة، وبعيدة عن الغموض.

وهي: السبر و التقسيم، القياس، وفي المنهج الثالث لا يتعرض لدعوته بالإثبات وإنما يدعي استحالة دعوى الخصم.

1/3_ من آراء الغزالي في كتاب " الاقتصاد في الاعتقاد": في النظر في ذات الله: الدعوى الرابعة:-

1/3_أ يقول الغزالي:

<< تدعي أن صانع العالم ليس بجوهر متحيز، لأنه قد ثبت قدمه، ولو كان متحيزا، لكان لا يخلو عن الحركة في حيزه أو السكون فيه، و ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث >>[2]

في هذه الدعوى ينفي الغزالي عن الله-تعالى- الجوهرية، والتحيز...المراد بالجوهر خنا: هو الجزأ الذي لا يتجزأ ولا يقبل الإنقسام، ومنه تتركب الأقسام، و المراد بالتحيز: هو الجرم الذي يشغل قدرا من الفراغ بحيث لا يحل غيره فيه حيث حل.>>[3]

---

[1] المصدر نفسه ، ص 9.

[2] محمد أبي حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد ، الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم حريبة ، ج1، القاهرة، ط1 ، 1404هـ،1983م، ص 107.

[3] المصدر نفسه ، ص 109.

1/3_ب يقول الغزالي: الدعوى السابعة:-

<< تدعي أن صانع العالم ليس بعرض لأنا نعني بالعرض ما يستدعي وجوده ذاتا تقوم به، وتلك الذات جسم و جوهر، ومهما كان الجسم واجب الحدوث، كان الحال فيه أيضا حادثا لا محالة، إذ يبطل انتقال الأعراض، وقد بينا أن صانع العالم قديم، فلا يمكن أن يكون عرضا.>>[1]

في هذه الدعوى ينفي الإمام الغزالي العرضية عن الله سبحانه و تعالى ...نقول: يفسر العرض بمعنيين: 1/ العرض:- هو ما يستدعي وجوده ذاتا يقوم بها، لأن العرض لا يقوم بنفسه بل لا بد له من محل يقوم به...2/ أما إذا فسر العرض بالصفة التي تقوم بذات غير متحيزة، بأن يكون العرض صفة لشيء من غير أن يكون ذلك الشيء متحيزا.[2]

إذا فسر العرض بالصفة فهذا متوافق عليه لأن لله صفات مثبتة من علم و قدرة و غيرها، وثبت أن هذه الصفات قائمة بذات الله تعالى مع اعتقادنا أن ذاته غير متحيزة(بتصرف)

1/3_ج _ يقول الغزالي: في النظر في ذات الله تعالى: الدعوى الثامنة:-

<< تدعي أن الله منزه عن أن يوصف بالإستقرار على العرش >>[3]

نفي استقرار الله- تعالى – على العرش لا يحتاج في حقيقته إلى برهان خاص عليه، لكونه واضحا بينا، إذ أن استقراره – تعالى – على العرش يترتب عليه اتصافه بالجسمية و لوازمها كان تأخذ الذات قدرا من الفراغ و الانقسام وتلك أمور منفية عنه تعالى.[4]

---

[1] المصدر نفسه ، ص 117.

[2] محمد أبي حامد الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد، الدكتور ابراهيم محمد ابراهيم حريبة ، ج1، القاهرة ، ط1، 1404هـ،1983م، ص، ص 118-119.

[3] محمد أبي حامد الغزالي ،الاقتصاد في الاعتقاد ، شرح الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم حريبة، ج1، القاهرة، ط1 ، 1404هـ، 1983م، ص 147.

[4] المصدر نفسه ، 154.

2/3 _ الآيات الموهمة للتشبيه وموقف الغزالي منها:

رأى الغزالي أن الحديث عن الظواهر الواردة في هذا الباب طويل، لكونها لا تثير قضية الاستواء على العرش فحسب بل تتماداها إلى إثارة قضية الآيات و الأحاديث الموهمة بظاهرها للتشبيه و التجسيد بصفة عامة.[1]

كما يرى الغزالي: أنه ينبغي أن نتبع حيال هذه الآيات و الأحاديث منهجين: أحدهما خاص بالعوام والآخر خاص بالعلماء

أما جانب العوام:<< فالواجب في حقهم و اللائق بهم، أن نبين لهم العقائد صحيحة، وأن تنزع عن عقائدهم كل ما يوهم التشبيه أو يدل على الحدوث في ذات الله و صفاته، ونرسخ في عقولهم أن الله موجود" ليس كمثله شيء و هو السميع البصير " دون أن نخوض معهم فيما يتعلق بهذه الآيات من شروح و تأويلات >>[2]

يستوجب صرف العامة من الناس عن السؤال في قضية الآيات الموهمة بالتشبيه لأن عقولهم لا تتسع لفهم معاني هذه الآيات و لضعف استيعابهم للألفاظ المجازية و الاستعارات التي كانت تشرح بها هذه الآيات، ولهذا افترض عدم إجابتهم كما ذكر بما أجاب به الإمام مالك بن أنس بعض السلف، حينما سئل عن الاستواء فقال:" الاستواء معلوم، و الكيفية مجهولة، و السؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب".

3/3_ الطريقة التي اتبعها الغزالي في تحديد معنى الرؤية من خلال كتابه " الاقتصاد في الاعتقاد":

وطريقة معرفة المعنى الذي يقصده أهل السنة، هي أن تستعرض معاني الرؤية الحقيقية منها، المجازية، ثم نحدد من هذه المعاني ما يستحيل في حق الله – تعالى – و ما تبقى من المعاني ننظر إليه فإن صلح إطلاق شيء منها على الله – تعالى – على سبيل الحقيقة، أطلقناه عليه، وقضينا بأنه مرئي حقيقة، وإن لم يصلح شيء من المعاني الحقيقية للإطلاق، نظرنا في المعاني المجازية ، وأطلقنا

[1] المصدر نفسه ، 157.

[2] محمد أبي حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، شرح الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم حريبة، ج1، القاهرة، ط1، 1404هـ، 1983م، ص، ص 157-158.

لفظ الرؤية على الله – تعالى على سبيل المجاز ، بإذن الشرع، واعتقدنا جواز هذا المعنى المجازي في حقه – تعالى – كما دل عليه العقل، وحكم به.[1]

لمعرفة مقصد أهل السنة في معنى رؤية الله تعالى، وجب تفحص معاني الرؤية الحقيقية و المجازية حسب تماشيها مع ما يجوز و ما يستحيل في حق الله عز وجل، بالاستعانة في المجازية بالشرع والعقل.

قوله في: في جانب العلماء:

<< فاللائق بهم، أن يجهدوا أنفسهم بالبحث في الآيات و الأحاديث، وفهم معاني ألفاظها على نحو يليق بذاته – تعال – بما لديهم من قدرة فكرية، وتوسعات علمية تمكنهم من ذلك >>[2]

دراسة معاني نصوص الآيات و الأحاديث الموهمة للتشبيه لا يعتبر فرض عين على العلماء، ولم يكلفوا به، غير أن العالم مكلف في هذا المقام بتنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق بكماله و جلاله من أجل رفع الريب و الشك من قلوب العوام من الناس.

قول الغزالي: في جواز رؤية الله – تعالى– عقلا وو قوعها في الآخرة شرعا:

<< تدعى أن الله – سبحانه و تعالى – مرئي خلافا للمعتزلة وإنما أوردنا هذه المسلة في القطب المرسوم لأنظر في ذات الله سبحانه و تعالى لأمرين:

أحدهما: أن تنفي الرؤية عما يلزم على نفي الجهة فأردنا أن نبين كيف يجمع بين نفي الجهة و إثبات الرؤية.

والثاني: أنه سبحانه وتعالى عندنا مرئي لوجوده ووجود ذاته، فليس ذلك إلا لذاته، فإنه ليس لفعله و لا لصفة من الصفات، بل كل موجود ذات فواجب أن يكون مرئيا >>[3]

---

[1] محمد أبي حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، شرح الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم حريبة، ج1، القاهرة، ط1 ،1404هـ،1983م، ص، ص 195-196.

[2] المصدر نفسه ، ص 159.

[3] محمد أبي حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، شرح الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم حريبة، ط1، ج1، القاهرة ،1404هـ،1983م، ص 173.

جرت عادة المتكلمين أن يذكروا مبحث الرؤية ضمن حديثهم عن صفات الله – تعالى –' إلا أن الغزالي تناول في هذا القطب الذي عقده للنظر في أحكام الذات الإلهية، خلافا لما جرت عليه عادة المتكلمين، وذلك لأمرين:

أحدهما:– أن الذين حكموا بنفي جواز رؤية الله – تعالى – انما اعتمدوا في نفيهم لجوازها اساس استحالة الجهة في حقه – سبحانه و تعالى – ولما استحالت الجهة في حقه استحالت رؤيته، لاعتقادهم أن كل مرئي لا بد أن يكون في جهة...الثاني:– أن أهل السنة ذهبوا إلى القول بجواز رؤيته – تعالى – لأنه سبحانه موجود و ذات، وكل موجود يجوز أن يرى .[1]

و في نظر الغزالي على هذا النحو نحكم بقبول الذات الإلهية للرؤية باعتبارها ذاتا موجودة.

4/ قال الغزالي في نهاية الكتاب:

<< ولنختم هذا الكتاب بهذا " وإنما الخلود في النار نظر فقهي و هو المطلوب" فقد أظهرنا الاقتصاد في الاعتقاد، وحذفنا الحشو و الفضول المستغنى عنه الخارج عن أمهات العقائد و قواعدها، واقتصرنا من أدلة ما أوردناه على الجلي الواضح الذي لا تقصر أكثر الأفهام عن دركه، فنسأل الله تعالى أن لا يجعله وبالا علينا، وأن يضعه في ميزان الصالحات إذ ردت إلينا أعمالنا، والحمد لله رب العالمين، وصلي الله على محمد خاتم النبيين و سيد المرسلين و على آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، آمين>>[2]

5/ كيفية تقوية العقيدة بالنسبة للغزالي:

أمام هذه المشكلة وهي ضعف العقيدة عند الصبى و العامي يرى الغزالي أن الطريق إلى تقوية العقيدة في نفس الصبى و العامي كالآتي: قال:– << وليس الطريق في تقوية (الاعتقاد) وإثباته أن يعلم صنعة الجدل و الكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن و تفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يفرغ سمعه من أدلة القرآن و حجبه و بما يرد عليه من شواهد الأحاديث و فوائدها وبما يسطع عليه من أنوار العبادة ووظائفها وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين و مجالستهم >>[3]

[1] المصدر نفسه، ص، ص 183–184.

[2] محمد عقيل بن علي المهدلى ، مدخل إلى دراسة مؤلفات الغزالي، دار الحديث ، القاهرة ، ص، ص 62–63.

[3] الغزالي ، قواعد العقائد في التوحيد، دار الحديث ، القاهرة ، ط2 ، ص16.

2/ المبحث الثاني :2/1_ الغزالي و الفلسفة

الفلسفة هي العلم الثاني الذي درسه الغزالي:-

الصنف الثاني الذي يتكلم عنه الغزالي من طلاب الحقيقة هم الفلاسفة، ويستطرد الغزالي في حكاية تاريخ حياته الفكرية فيقول: انه بعدما فرغ من علم الكلام وتبين له أن هذا العلم لا يشفي غلته و تعطشه إلى الحق فقد ثنى بالفلسفة ويقول أنه شمر عن ساق الجد في تحصيل الفلسفة و أنه درس الفلسفة من الكتب دون أن يستمع معلم أو أستاذ، وكان يشتغل بتحصيلها وتفهمها بعد أن يفرغ من التصنيف والتأليف و التدريس في العلوم الشرعية،...وقف الغزالي كما يقول في هذه الأوقات التي كان يخلو فيها للفلسفة على منتهى علوم الفلاسفة.[1]

وبعد الفراغ من علم الكلام ، ابتدأ الغزالي بعلم الفلسفة وحصَّل فيه أقوالهم وبراهينهم ، حتى فاقهم في فهم ما قالوه ، فلا يقف على فساد علم من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوي أعلمهم في ذلك العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته ، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة . وإذا ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساد حقاً.
وكان إطلاع الغزالي على علوم الفلسفة ، أثناء تدريسه في بغداد ، وقد أتى على منتهى علومهم في أقل من سنتين ، ثم واظب على التفكر فيها قريباً من سنة ، حتى انكشف له ما فيها من خداع وتلبيس.[2]
درس فلسفة اليونان درس المدقق المتبصر، ثم انتقدها انتقادا لاذعا خفف من هيبتها و ورعتها في نفوس المسلمين و ستجلى الناس وجه الحقيقة في النظريات التي كانوا قد سلموا بها كأنها حقائق منزلة من الله ، وكانوا لا يرون لسلامة دينهم من سبيل غير أن يطبقوا عليها تعاليم القرآن و السنة، ولم ينحصر اثر نقد الإمام هذا في الممالك الإسلامية ، بل تعداها إلى أوروبة وفعل هناك فعلته في إزالة غلبة الفلسفة اليونانية وفتح دور جديد–دور النقد الحقيقي العلمي.[3]

قام الغزالي بنقد الفلسفة نقدا قدم به للمسلمين إعانة كبيرة وجهتهم إلى الحقيقة في الكثير من المسائل التي كانت في ريب عندهم في تعاليم القرآن والسنة.

---

[1] فتح الله خليف، فلاسفة الإسلام ، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، ص 243.

[2] موسى بن محمد بن هجاد الزهراني، موقف الإمام الغزالي من الفلاسفة، شهادة ماجستير بقسم الفلسفة الإسلامية ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ص 7.

[3] الغزالي، مقاصد الفلاسفة ، محمود بيجو، مطبعة الصباح ، دمشق ،ط1، 1420هـ، 2000م ، ص 6.

أما الغزالي فقد هاجم الفلسفة وتناولها بالفحص و النقد، وهجم عليها هجوما عنيفا مبنيا على الدراسة والبحث، وحجة مثل حجة الفلسفة، وعقل مثل عقل الفلاسفة الكبار و مدوني الفلسفة، والجا الفلسفة أن تقف موقف المتهم[1]

لم يبالغ الغزالي في الهجوم على الفلسفة ولم ينتهج طريق غيره من الناقدين بل درسها وكان يؤمن بها حيث انه كان ممن يؤكدون على انه على كل من يريد أن يقف نقائص علم عليه أن يتمكن من دلك العلم بدراسته من جميع جوانبه.

كان يمهد لرده على كل فرقة من الفرق بتلخيص كلام و آراء هده الفرق... ورده على مقاصد الفلاسفة يقول: << لابد لكل من يتصدى لإظهار مفاسد علم من العلوم من الوقوف على منتهى ذلك العلم، فإن رد المذهب قبل فهمه ضرب من العبث ورمي في العمى>> و بذلك أخذ الغزالي على عاتقه مهمة تلخيص المذاهب قبل الرد عليها.[2]

2/2_ هدف الغزالي من دراسته للفلسفة:

درس الغزالي الفلسفة وتفحصها، وله أهداف يريد بلوغها، حيث ألجا الفلسفة إلى أن تقف موقف المتهم، وأجا ممثليها إلى أن يقفوا موقف المدافعين.

كان هدفه هدم آراء الفلاسفة في المسائل الكبرى التي تتعارض مع أصول العقائد الإسلامية مثل قدم العالم و إنكارهم للبعث ومسألة معرفة الله وقصر علم الله للجزئيات وهو لا يتورع في الرد على الفلاسفة من أن يعتمد على أي مصدر أيا كان ذلك المصدر و لا يتردد من أن يقتبس من أقوال غيرهم المعارضة لأقوالهم للرد على الفلاسفة و لا يقف عند حد و لا يتردد في نقدهم في أن يستند إلى أي وسيلة أو أي مصدر.[3]

[1] صالح احمد الشامي ، الغزالي، دار القلم ، دمشق ، ط2 ، 1423هـ،2002م ، ص 79.

[2] فتح الله خليف ، فلاسفة الإسلام، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، ص 243.

[3] فتح الله خليف ، فلاسفة الإسلام، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، ص 246.

كان يلخص مذاهب المردود عليهم في الفلسفة لخصها في المقاصد، ورد عليها في التهافت، ورد على كل مسألة على حده، نجده يلخص المسألة حتى يرد عليها في صور قضايا يحلل قضايا الفلاسفة واستدلالاتها ويناقش نظرياتهم.[1]

درس الغزالي أولا الفلسفة دون نقد في كتاب" المقاصد" ، ثم جاء كتاب "التهافت" للرد على كل أغلاطهم.

وشرح حال الفلاسفة، وفرق علومهم التي تصادم الشريعة، و التي لا تصادمها وناقش الفلاسفة في شرائعهم ومقدماتهم للبحوث الإلهية، وبعد هذا كله شرع الغزالي في بيان مسائل الفلاسفة ومناقشتهم في ذلك، و بين فيها ضعف استدلالهم وتناقضهم واختلافهم وتهافت عقيدتهم.[2]

وكان دافع الغزالي عندما رأى أنهم يبدعون في بعض المسائل ويكفرون في بعض ويشركون في بعض، فإنه يقرر أن الفلسفة لا تغني عن الدين، فكان حكمه عليها ونقده لها بمعيار أحكام الإسلام وقيمه.[3]

استخدم الغزالي منهج الفلاسفة ومنطقهم عند مجادلته لهم، فاتبع أسلوبهم في و الرد و الأخذ ومناقشة الحجج

<< ... ثم خطا علماء الإسلام خطوة أخرى، فأخذوا يفندون منهجها و يحاجون أهلها بمصطلحاتهم كما فعل الغزالي، فعكف على دراسة الفلسفة من مظانها وبالوقوف على مؤلفات الفلاسفة أنفسهم، ثم أخذ يجادلهم بطريقتهم مستخدما منهجهم في التبويب والتقسيم و الأخذ و الرد ومناقشة الحجج >>.[4]

3/2_ موقفه من الفلاسفة:-

يصرح الغزالي في التهافت أنه لا يريده إلا لهدم مذاهب الفلاسفة _لا الفلسفة أيا كانت_ و إظهار ما فيها من تناقض و عجز أو سفسطة و قصور، يريد أن ينقد و يرفض الفلاسفة، فهو يناظر الفلاسفة بأسلوبهم و منطقهم ليبين لهم أنهم لم يلتزموا شروط المنطق الذي يدينون به يدلل بذلك في النهاية على إفلاس العقل الإنساني في محاولة الوصول إلى الحقيقة [5]

---

[1] المرجع نفسه، ص 246.

[2] صالح احمد الشامي ، االغزالي، دار القلم ، دمشق،1413هـ،1993م، ص 84.

[3] مصطفى حلمي ، الإسلام و المذاهب الفلسفية، مصر ، ص 129.

[4] مصطفى حلمي ، الإسلام و المذاهب الفلسفية، مصر ، ص 128.

[5] فتح الله خليف ، فلاسفة الإسلام، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، ص 244.

جعل الغزالي الفلاسفة أصنافا ثلاثة :دهريين ،وطبيعيين ،وإلهيين .أما الدهر يون فعدهم زنادقة لأنهم جحدوا الله، وزعموا أن العالم موجود بنفسه ، وأما الطبيعيون فقد اعترفوا بوجود خالق حكيم ، ولكنهم جحدوا الآخرة وأنكروا العقاب و الثواب ، فانهمكوا في شهوات الدنيا ، وهؤلاء في رأيه زنادقة بالرغم من إيمانهم بالله و صفاته ، وأما الإلهيون ، وفيهم سقراط وأفلاطون و أرسطو ، فقد ردوا على الدهريين والطبيعيين ، إلا أنهم استبقوا من رذائل كفرهم بقايا لم يوفقوا من التحرر منها ، ولذلك وجب تكفيرهم ، وتكفير أتباعهم من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا ، والفارابي وغيرهما.[1]

من أهم المسائل التي كانت موضع اهتمام الفلاسفة، هي القول بقدم العالم، وإنكارهم علم الله بالجزئيات، وإنكارهم بعث الأجساد، وقد كفرهم الغزالي في هذه المسائل.

كشف الغزالي أغاليط الفلاسفة، في جميع علومهم، والعلم الإلهي خاصة، فقد أحصى له الغزالي عشرون مسألة تهافتوا فيها.

أما العلم الذي كثرت أغاليط الفلاسفة فيه فهو العلم الإلهي ، وقد أحصى الغزالي عشرين غلطة كفرهم في ثلاثة منها ، هي قولهم بقدم العالم ، وقولهم بعدم حشر الأجساد ، وقولهم أن الله يعلم الكليات دون الجزئيات ، وبدعهم في السبعة عشر الباقية.[2]

درس الغزالي الفلسفة ، ولكنه درسها بنية سيئة و درسها ليسبر غورها ،ثم ينشر مساويها في العالمين، وقد درسها بنفسه ، ولم يتتلمذ لأستاذ ، فكان ذلك داعية لهذا البغض العميق ، الذي جعله ينسى الفلاسفة ولم يذكرهم إلا بسوء في كتبه الأخلاقية.[3]

قلنا إن الغزالي عرف الفلسفة معرفة تامة لأنه أكب على دراستها وتفهمها ما يقرب من ثلاث سنوات ألف بعدها كتاب "تهافت الفلاسفة" و فيه عرض الفلسفة كما وجدها عند إخوان الصفا و الفرابي و ابن سينا، من غير تمييز بين الحق و الباطل. رأى أن الفلاسفة، على كثرة أصنافهم، يلزمهم وصمة الكفر والإلحاد[4]

[1] يوسف فرحات ، الفلسفة الإسلامية وأعلامها ، الشركة الشرقية للمطبوعات ،دمشق ، ط1 ، 1986، ، ص، ص 127-128.

[2] زكي مبارك ، دار الجيل، الأخلاق عند الغزالي، بيروت ، ط1 ، 1408هـ،1988م، ص 75.

[3] يوسف فرحات ، الفلسفة الإسلامية و أعلامها،الشركة الشرقية للمطبوعات، دمشق،ط1، 1986، ص 192.

[4] يوحنا الفاخوري و خليل الجر، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ج2، دار الجيل بيروت، ط3 ، 1993 ، ص 256.

راح الغزالي يعرض مذهب الفلاسفة بدقة، مما مكنه من القيام بذلك الهجوم على آرائهم الباطلة في كتاب التهافت.

نستطيع تلخيص عمل الغزالي في ميدان الفلسفة فيما يلي :

حاربها دفاعا عن الإسلام وخدمة له، وقد كانت الفلسفة حربا على الدين.

لم يحارب الفلسفة كلها، إنما حدد معركته مع" الفلسفة الإلهية الإغريقية "ابعد عن الفلسفة العلوم الأخرى التي كانت منضوية تحت لوائها، فجعلها وحيدة بعيدة عن جنودها الذين كانت تستخدمهم كسياج في الدفاع عنها، وقد أصبحت هذه العلوم مستقلة قائمة بذاتها: مثل الرياضيات، الطبيعة <الفيزياء> ، و المنطق و علم الأخلاق ، و السياسة .

فضح الغزالي أغاليط الفلاسفة، وأزال تلك الهيبة التي أخذت عنها، وإسقاط قيمتها، وكان لابد من ذلك أولا الإحاطة بمداركها.

ورفع الحصانة عنها وأزال تلك الهالة التي كانت تضفي عليها التقديس و الاحترام، واثبت أنها مجموعة أفكار و تخيلات و قياسات و تخمينات.[1]

4/2_ كتاب مقاصد الفلاسفة487

لقد حدثنا الغزالي عن نفسه ، قال: انه قد عكف –قبل أن يناقش الفلسفة– على دراسة الفلسفة ، حتى وقف على غورها و غائلتها ، و أدرك من أسرارها ودخائلها ما لم يفطن له الفلاسفة أنفسهم ، و أراد أن يقيم على ادعائه شاهدا عمليا فألف كتابه "مقاصد الفلسفة" صور فيه الفلسفات : المنطقية ، و الطبيعية، و الإلهية ، الذي يشهد له ببلوغ مرتبة في الفلسفة تسمح له بإبداء رأيه فيها لها أو عليها [2]

بجب على كل من يريد الوقوف وقفة حكم بين مؤسس للفلسفة أو هادم لها حسب رأي الغزالي أن يتمكن من كل الجوانب الايجابية فيها و السلبية في ذلك الحين يحق له النقد أو المدح.

[1] صالح احمد الشامي، م الغزالي، دار القلم ، دمشق ، 1413هـ، 1993م ، ص، ص 83-87.

[2] سليمان دنيا، معيار العلم للغزالي، دار المعارف بمصر،1961، ص 17.

فرأى أن يؤلف كتابا يذكر فيه المباحث الفلسفية و مسائلها في لغة سهلة واضحة ، و في أسلوب مشرق ، وقد رزق الغزالي قدرة عجيبة في تبسيط المسائل العلمية و إيضاحها...وألف كتاب " مقاصد الفلاسفة " ذكر فيه المصطلحات الفلسفية و المباحث الفلسفية من غير تعليق و لا نقد وعرض الفلسفة كأحسن ما يعرضها رجال الفلسفة ، وكان يعده مقدمة لازمة لما تكلفه تزييف الفلسفة وإسقاط قيمتها ، ويعد كتابه من أحسن الكتب التي تلخص وضع الفلسفة آنذاك.[1]

وقبل أن يعالج الغزالي آراء الفلاسفة الباطلة بالنقد، راح في كتاب " مقاصد الفلاسفة " يعرض مذهبهم بدقة و أمانة ووضوح، لأن<< الوقوف على فساد المذاهب قبل الإحاطة بمداركها محال، بل هو رمي في العماية و الضلال >> [2]

ألف الغزالي كتابه "مقاصد الفلاسفة" وذكر فيه المصطلحات الفلسفية، وبحوث الفلسفة، وعرضها أحسن عرض، الأمر الذي لم يحسنه رجال الفلسفة، وذلك دون أن ينتقدها أو يعلق عليها.[3]

وقد برهن سليمان دنيا في مقدمته الثانية لكتاب " التهافت الفلاسفة" على أن عرض الغزالي لمسائل الفلسفة كان أحسن من عرض الفلاسفة أنفسهم لهذه المسائل، عندما قارن في بعض المسائل بين أسلوب الغزالي و أسلوب ابن سينا، وخلص القول بان منهج الغزالي أوضح و أدق.[4]

يقول سليمان دنيا:

واختار له اسم (تهافت الفلاسفة) وعنى بهذا الاسم –فوق دلالته على الكتاب– التشهير بالفلاسفة، والإعلان عنهم بأنهم متهافتون، فحسب من يقرأ عنوان الكتاب فقط، او حتى يسمع به، أن يعرف أنه محاولة لإثبات تهافت الفلاسفة.[5]

ويقول أبو الحسن الندوي في وصف الكتاب :

ويتسم هذا الكتاب بقوة التعبير، وسلامة العبارة، وسهولة الأسلوب، بخلاف عامة الكتب التي ألفت في الموضوع، ويدل على أن مؤلفه ممتلئ بالإيمان و الثقة بدينه، و الاعتداد بشخصيته وتفكيره، ينظر إلى

---

[1] محمود بيجو، مقاصد الفلاسفة،حجة الإسلام أبي حامد الغزالي،ط1 ،مطبعة الصباح ،دمشق ،2000،1420، ص8.

[2] نقلا عن يوحنا الفاخوري و خليل الجر، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ج2 ، دار الجيل بيروت، ط3 ، 1993 ، ص25.

[3] صالح احمد الشامي، الغزالي، دار القلم ، دمشق ، 1413هـ، 1993م ، ص 80.

[4] المرجع نفسه ، ص 80.

[5] المرجع نفسه ، ص 82.

الفلاسفة القدماء كأقران وزملاء، ورجال من مستواه العقلي و الفكري، يناقشهم و يباحثهم بحرية و اعتماد، ويقرع الحجة بالحجة.[1]

وقد اتبع منهجا علميا صحيحا في رده على الفلاسفة، إذ أنه رتب مسائل الفلسفة أولا في " مقاصد الفلاسفة " وعرض الآراء و البراهين المثبتة لها في جلاء ووضوح بحيث اتهمه بعض معاصريه بأنه إنما يساعد الفلاسفة على نشر أفكارهم بعرضها بهذه الصورة الواضحة الكاملة...ولكن الغزالي كان يريد أن يتفحص المسائل بعين العالم الدارس لا بعين المتكلم الذي يجعل هدفه مناقضة الآراء حتى قبل أن تكتمل صورتها لديه، لذلك لا نجد الغزالي لا يكفر الفلاسفة في سائر علومهم وذلك بعد أن عرضها ميزان الفطرة و العقل الصحيح، فقد أحصى مسائل الفلسفة في عشرين مسألة وكفر الفلاسفة في ثلاث منها وبدعهم في السبعة عشر الباقية.[2]

5/2_أ: مقدمة الكتاب:

<< الحمد لله الذي عصمنا من الضلال، وعرفنا مزلة أقدام الجهال، و الصلاة على المخصوص من ذي الجلال، بالقبول و الإقبال، محمد المصطفى خير خلقه وعلى آله خير آل.

(أما بعد) فإنك إلتمست كلاما شافيا في الكشف عن تهافت الفلاسفة وتناقض آرائهم ومكامن تلبيسهم وإغوائهم، ولا مطمع في إسعافك إلا بعد تعريفك مذهبهم، وإعلامك معتقدهم، فإن الوقوف على فساد المذاهب قبل الإحاطة بمداركها محال، بل هو رمي في العماية و الضلال، فرأيت أن أقدم على بيان تهافتهم كلاما و جيزا مشتملا على حكاية مقاصدهم من علومهم المنطقية و الطبيعية و الإلهية من غير تمييز بين الحق منها و الباطل، بل لا أقصد إلا تفهيم غاية كلامهم من غير تطويل، بذكر ما يجري مجرى الحشو و الزوائد الخارجة عن المقاصد، وأورده على سبيل الإقتصاص، و الحكاية مقرونا بما اعتقدوه أدلة لهم، ومقصود الكتاب حكاية(مقاصد الفلاسفة) وهو اسمه و أعرفك أولا أن علومهم أربعة أقسام الرياضيات والمنطقيات و الطبيعيات والإلهيات...ولنفهم الآن ما نحن نورده على سبيل الحكاية مهملا مرسلا من غير بحث عن الصحيح و الفاسد، حتى إذا فرغنا منه استأنفنا له جدا وتشميرا في كتاب مفرد نسميه(تهافت الفلاسفة) إن شاء الله ولتقع البداية بتفهيم المنطق و إيراده >>.[3]

---

[1] صالح احمد الشامي، الغزالي، دار القلم ، دمشق ، 1413هـ، 1993م ، ص 83.

[2] تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان ، دار النهضة العربية ، 1973م، الإسكندرية ، ص، ص 346-347.

[3] أبي حامد الغزالي، مقاصد الفلاسفة ، حققه وقدم له محمود بيجو، مطبعة الصباح ، دمشق ، ط1 ، 1420هـ،2000م ، ص، ص 10-11.

بدأ الغزالي مقدمة كتابه " مقاصد الفلاسفة " بحمد الله تعالى و الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثم يذكر نقائص و أغلاط الفلاسفة وإنه يجب من أجل الوقوف على فساد أي فرقة من الفرقة ومذاهبهم أن تكون على دراية كاملة بمعتقداتهم و أفكارهم ةإن كان غير ذلك فعملك سيكون دون وفائدة، كما أن هدف الغزالي من تحرير "المقاصد" يقول أنه فقط من أجل ذكر ما جاء به الفلاسفة بشكل وجيز من علومهم المنطقية و الطبيعية و الإلهية دون الوقوف على الحق منها و الباطل، ومن ثم يذكر أقسام علومهم و يصرح أنه بعد الفراغ من هذا العمل سيقوم مقام الجد ينقد فيه ما جاؤوا به في كتاب آخر ألا و هو "تهافت الفلاسفة"، ثم يذكر أنه سيبدأ كتاب المقاصد بتفهيم المنطق وإيراده.

5/2_ب: مضمون " المقاصد ":

يعني الغزالي ب (مقاصد الفلاسفة) آرائهم و نظرياتهم و أفكارهم.

ولقد ضمن الغزالي كتابه هذا، من آرائهم وأفكارهم، خلاصة قيمة لعلومهم المنطقية و الالهية و الطبيعية.

ولا شك أن للغزالي علوما غير هذه العلوم الثلاثة، ولكن الغزالي اقتصر من علومهم على هذه الثلاثة، لأنها وحدها التي تلتقي مع الغرض الذي من أجله ألف الغزالي هذا الكتاب

وذلك الغرض يرجع إلى أن الغزالي قد جال بخاطره أن يناقش الفلاسفة في مسائل من الفلسفة يرى الغزالي أن الوسائل التي تأدت بالفلاسفة إليها وسائل ضعيفة واهية، وقد كانت تلك المسائل داخلة في نطاق ما يسمى بـ (العلم الإلهي) وما يسمى بـ (العلم الطبيعي).

ولما كانت هذه المسائل _كما قلنا سابقا_ داخلة في نطاق ما يسمى بالعلم الطبيعي، و العلم الإلهي، فقد جعل الغزالي كتابه هذا، قسمين:

قسما إلهيا يصور مسائل العلم الالهي من وجهة نظر الفلاسفة.

وقسما طبيعيا يصور مسائل العلم الطبيعي من وجهة نظر الفلاسفة.

فكانت محتويات الكتاب ثلاثة أقسام، مشتملة على ثلاثة علوم: المنطق، والإلهي، و الطبيعي.[1]

[1] سليمان دنيا، مقدمة تهافت الفلاسفة المسماة مقاصد الفلاسفة الغزالي، دار المعارف ، بمصر ، 1961، ص، ص 9-10.

وقد حكى الغزالي قصة هذا الكتاب في بدايته، حيث يقول:

<< أما بعد... فإني التمست كلاما شافيا في الكشف عن تهافت الفلاسفة، وتناقض آرائهم، ومكان تلبيسهم وإغوائهم.

ولا مطمع في إسعافك إلى بعد تعريفك مذهبهم، وإعلامك معتقدهم، فإن الوقوف على فساد المذاهب قبل الإحاطة بمداركها، محال، بل هو رمي في العماية و الضلال.

فرأيت أن على بيان تهافتهم كلاما وجيزا، مشتملا على حكاية مقاصدهم، من علومهم: المنطقية، والطبيعية، والإلهية.

من غير تمييز بين الحق منها، والباطل، بل لا أقصد إلا تفهيم غاية كلامهم من غير تطويل بذكر ما يجري مجرى الحشو و الزوائد الخارجة عن المقاصد.[1]

6/2_كتاب تهافت الفلاسفة 488هـ

ويعتبر كتابه العظيم "تهافت الفلاسفة " من أكبر ردوده شأنا، وأشدها عنفا، وهو عمل عظيم لا يخلو من قيمة فلسفية، لأنه ثمرة دراسة محكمة، وتفكير طويل، لأنه يبين المسائل الكبرى التي كانت محل خلاف بين الدين والفلسفة.[2]

<< قلنا إن الغزالي عرف الفلسفة معرفة تامة لأنه أكب على دراستها وتفهمها ما يقرب من ثلاث سنوات ألف بعدها كتاب "تهافت الفلاسفة" و فيه عرض الفلسفة كما وجدها عند إخوان الصفا و الفرابي و ابن سينا، من غير تمييز بين الحق و الباطل. رأى أن الفلاسفة، على كثرة أصنافهم، يلزمهم وصمة الكفر و الإلحاد >>[3]

وقد وضع الغزالي كتابه تهافت الفلاسفة ليهدم الفلسفة بمعول مفكر كبير ناقد، له بصيرة ودربة بآراء الفلاسفة، فأخذ يفتش عن الثغرات في آرائهم بعين فاحصة و عقل حكيم وما كان هدفه هدم آراء الفلاسفة في ذاتها لأن بعض هذه الآراء موافق للدين وإنما كانت بغيته تفنيد مسلكهم العقلي وبيان مدى تهافتهم

[1] سليمان دنيا، مقدمة تهافت الفلاسفة المسماة مقاصد الفلاسفة الغزالي، دار المعارف ، بمصر ، 1961، ص 10.

[2] أبي حامد الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، قرأه و علق عليه محمود بيجو ، دمشق ، 1415، 1994 ، ص 7.

[3] يوحنا الفاخوري و خليل الجر، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ج2، دار الجيل بيروت، ط3 ، 1993 ، ص 256.

فمقصوده كما يقول في تهافته تنبيه من حسن اعتقاده في الفلاسفة وظن أن مسالكهم نقية عن التناقض، ببيان وجوه تهافتهم.[1]

6/2_أ: لماذا كتب الغزالي "تهافت الفلاسفة" :

<<...يستهل الغزالي كتابه "تهافت الفلاسفة" ب"خطبة" خصصها لشرح الدواعي التي قال عنها إنها هي التي حملته على تأليف هذا الكتاب، وهي" أن طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظراء بمزيد الفطنة و الذكاء(...) قد خلعوا كلية ربقة الدين بفنون من الظنون يتبعون فيها رهطا يصدون عن سبيل الله وهم بالآخرة هم كافرون(...)، وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كسقراط و أفلاطون وأرسطوطاليس وأمثالهم(...)، فلما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضا على هؤلاء الأغبياء انتدبت لتحرير هذا الكتاب ردا على الفلاسفة القدماء مبينا تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم فيما يتلق بالإلهيات(...)، هذا مع حكاية مذهبهم على وجهه ليتبين هؤلاء الملاحدة تقليدا اتفاق كل مرموق من الأوائل و الأواخر على الإيمان بالله ة اليوم الآخر، وأن الاختلافات راجعة إلى تفاصيل خارجة عن هذين القطبين". " وأن من يتشبهون بهم" من زعماء الفلاسفة ورؤساؤهم براء عما قذفوا به من جحد الشرائع وأنهم مؤمنون بالله ومصدقون برسله وأنهم اختبطوا في تفاصيل بعد هذه الأصول، قد زلوا فيها فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل>>.[2]

<<...بل إن الغزالي يعترف بأن نيته لم تكن، يوم كان شخصية "العلمية" الأولى في بغداد، على عهد الوزير السلجوقي نظام الملك الذي استدعاه إليها، و هو العهد الذي ألف خلاله كتبه الإيديولوجية، وفي مقدمتها "فضائح الباطنية " و "تهافت الفلاسفة" ، إن الغزالي يعترف بأن نيته فيما كتب في ذلك العهد لم تكن "صالحة لوجه الله بل باعثها و محركها طلب الجاه وانتشار الصيت، يقول : << وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي به يكسب الجاه وأدعو إليه بقولي وعملي وكان ذلك قصدي ونيتي>>.[3]

هنا نستنتج أن كتاب " تهافت الفلاسفة" ومن بين الأسباب التي حرر من أجلها هي أنه كان من أجل فضح الباطنية و كشف ملابساتها و لبلوغ ذلك كان ينبغي زعزعة الأسس الفلسفية المبنية عليها.

---

[1] عامر النجار ، نظرات في فكر الغزالي، شركة الصفا ، ص 102.

[2] محمد عابد الجابري ،تهافت التهافت، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1998 ، ص 42.

[3] المرجع نفسه ، ص، ص 32-33.

6/2_ب: مقدمة الكتاب

وقد جاء في افتتاحية الكتاب<<تهافت الفلاسفة>> ما يوضح ذلك أتم وضوح قال الغزالي:

<< أما بعد...فإني رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التمييز عن التراب و النظراء، بمزيد من الفطنة والذكاء، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات، واستحقروا شعائر الدين، من وظائف الصلوات، والتقوى عن المحظورات، واستهانوا بتعبدات الشرع وحدوده، ولم يقفوا عند توقيفاته وقيوده...وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة: كسقراط، وبقراط، وافلاطون، ارسطوطاليس، وأمثالهم، وأطناب طوائف من متبعيهم وضلالهم، في: وصف عقولهم، وحسن أصولهم، ودقة علومهم: الهندسية، و المنطقية، والطبيعية، والإلهية >> [1]

يوضح الغزالي في مقدمة كتابه " تهافت الفلاسفة " الدافع الذي جعله يحرر هذا الكتاب إذ رأى فئة من الناس يقدمون على المساس بالعقيدة الإسلامية ويقللون من شأن شعائر الدين و ذلك بسبب إتباعهم لأفكار فلاسفة غير ليسوا بمسلمين، فأضلوهم السبيل، وذكر علومهم التي وضعوها، كالعلوم الهندسية، والمنطقية، والطبيعية، و الإلهية وغيرها.

6/2_ج: مضمون كتاب "تهافت الفلاسفة":

ألف الغزالي التهافت وناقش فيه اثنين و عشرون مسألة وهي كالآتي:

<<...وهي مشتملة على اثنين وعشرين فصلا (الأول) في إبطال قولهم المبدؤ الأول موجب بالذات لا فاعل بالاختيار (الثاني) في إبطال قولهم بقدم العالم (الثالث) في إبطال قولهم في أبدية العالم (الرابع) في إبطال قولهم الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد (الخامس) في إبطال قولهم في كيفية صدور العالم المركب من المختلفات عن المبدء الواحد (السادس) في تعجيزهم عن الاستدلال على وجود الصانع للعالم (السابع) في بيان عجزهم عن إقامة الدليل على وحدانية الواجب (الثامن) في إبطال أن الواحد لا يكون قابلا و فاعلا لشيء واحد (التاسع) في إبطال مذهبهم في نفي الصفات (العاشر) في تعجيزهم عن إثبات قولهم أن ذات الأول لا ينقسم بالجنس و الفصل (الحادي عشر) في تعجيزهم عن إثبات قولهم أن وجود الأول غير ماهيته (الثاني عشر) في تعجيزهم عن إثبات أن الأول ليس بجسم (الثالث عشر) في تعجيزهم عن قولهم بأن الأول يعلم غيره بنوع كلي (الرابع عشر) في تعجيزهم عن القول بأن

[1] الغزالي، مقدمة تهافت الفلاسفة المسماة مقاصد الفلاسفة ، سليمان دنيا ، دار المعارف ، مصر ، 1961، ص11.

الأول يعلم ذاته (الخامس عشر) في إبطال قولهم أن الأول لا يعلم الجزئيات (السادس عشر) في إبطال قولهم أن السماء متحرك بالإرادة (السابع عشر) في إبطال ما ذكروا من الغرض المحرك من السماء (الثامن عشر) في إبطال قولهم أن نفوس السموات مطلعة على الجزئيات الحادثة في هذا العالم (التاسع عشر) في إبطال قولهم بوجوب الاقتران وامتناع الانفكاك بين الأشياء العادية والمسببات (العشرون) في تعجيزهم عن إثبات أن نفس الإنسان جوهر مجرد قائم بذاته (الحادي و العشرون) في إبطال قولهم باستحالة الفناء على النفوس البشرية (الثاني و العشرون) في إبطال قولهم بنفي البعث و حشر الأجساد والله هادي إلى سبيل الرشاد.>>[1]

6/2_د: وفي خاتمة كتاب "التهافت":-

وفي الخاتمة ذكر الغزالي أن تكفير الفلاسفة لابد منه في ثلاثة مسائل:

إحداها: مسألة قدم العالم وقولهم إن الجواهر كلها قديمة.

الثانية: أن الله تعالى لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الأشخاص.

الثالثة: إنكارهم بعث الأجساد وحشرها.

قال:<< فهذه المسائل الثلاث لا تلائم الإسلام بوجه ومعتقدها معتقد كذب الأنبياء – صلوات الله عليهم وسلامه – وأنهم ذكروا ما ذكروه على سبيل المصلحة، تمثيلا لجماهير الخلق و تفهيما، وهذا هو الكفر الصراح الذي لم يعتقده أحد من فرق المسلمين>>.[2]

3/ المبحث الثالث: في الرد على الباطنية أو التعليمية:

أما في ما يخص هذا المبحث فتجلى في تلك الحملة المعرفية التي قادها الغزالي لنقد دواعي الفرق ونذكر بالخصوص فرقة الباطنية:

وبعد الفراغ من الفلسفة وأدلتها ، وجد الغزالي أن علمها غير وافٍ بما هو مطلوب (اليقين) وأن العقل ليس كاشفاً للغطاء، وليس محيطاً بكل المُعضِلات . وكان قد سمع بمذهب التعليمية ، وأنهم يقولون أن

[1] خواجة زادة، تهافت الفلاسفة، المطبعة الإعلامية، بمصر، ط 1 ، 1303، ص 5.

[2] محمد عقيل بن علي المهدلى، مدخل إلى دراسة مؤلفات الغزالي، دار الحديث ، القاهرة ، ص، ص 52-53.

اليقين يؤخذ من الإمام المعصوم ، فأراد الاطلاع على ما في كنانتهم . ثم جاءه أمر من الخليفة بالرد عليهم ، وكشْف حقيقة مذهبهم.[1]

عرف الغزالي حقيقة حال الباطنية، لما استعرض أقوالهم، فرفض دعواهم، لأنه لم يجد لديهم الحق الذي كان يطلبه.

ويظهر أن موقف الغزالي من الباطنية كان سياسيا ودينيا معا، فقد أراد أن ينتصر للخليفة العباسي ويثبت أنه الإمام الحق الأولى بالإتباع وأن غيره من الباطنية ليسوا على حق وفي هذا المعنى وضع كتاب " المستضهري " فاستعرض فيه حجج الباطنية ودعاويهم ولاسيما قولهم بالإمام المعصوم صاحب التعليم، وأورد الغزالي لهم ثمانية مقدمات لإثبات ذلك ثم شرع في الرد عليهم ...ويستطرد الغزالي في رده عليهم قائلا:<< ثم كيف عرف هؤلاء الباطنية أن مدعي العصمة و النبوة بل و الربوبية طوائف أخرى كثيرة فقد أله النصارى عيسى وأله الروافض عليا>>.[2]

وقد انتقد الغزالي في تقرير حججهم وبيانها وقد حكى ذلك عن نفسه فقال :<< ...فجمعت تلك الكلمات، ورتبتها ترتيبا محكما، مقارننا للتحقيق، واستوفيت الجواب عنها...>>...وتتابعت كتب الغزالي في الرد عليهم على فترات مختلفة، منها "فضائح الباطنية" الذي اثنى عليه الإمام ابن تيمية ...ونقل منه ابن الجوزي وغيره.[3]

وله في الرد عليهم أكثر من كتاب أشار إليه في (المنقد من الضلال) حين عرض لمذهبهم، وما فيه من فساد و تلبيس، وبين أنه لا حاصل عندهم ولا طائل تحت كلامهم....فمن الكتب التي أشار إليها:

- كتاب (حجة البيان) ويسمى أحيانا (حجة الحق)
- وكتاب (مفصل الخلاف)
- وكتاب (الدرج المرقوم بالجداول)
- فضلا عن كتاب (القسطاص المستقيم) وهو كتاب مستقل عن بنفسه، مقصوده بيان ميزان العلوم، إظهار الاستغناء عن الإمام المعصوم،لمن أحاط به.

---

[1] موسى بن محمد بن هجاد الزهراني ، موقف الإمام الغزالي من الفلاسفة، شهادة ماجستير بقسم الفلسفة الإسلامية ،كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

[2] نقلا عن محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية ، الإسكندرية ، 1973م ، ص، ص 349-350.

[3] صالح أحمد الشامي، الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة، دار القلم، دمشق، ط1 ، 1413هـ، 1993م ، ص، ص 93-94.

وذكر له أيضا كتاب (قاصم الباطنية) و (مواهم الباطنية) ، وكلها أسهمت في المعركة ضد هؤلاء الذين كانوا وبالا على العباد و البلاد.[1]

1/3_تصانيفه في الرد على الباطنية :

جاء الغزالي، وقد عظم أمر هذه الفرقة، واستفحل ضررها، وانتشرت فضائحها وافتراءاتها، وأضلت كثيرا من الخلق تحت لوائها، لما تبثه من رسوم وادعاءات.

فانطلق الغزالي يكافح هذه الفرقة ويدمغ حججها، وينقض عرى مذهبها، فألف كتابه الشهير"فضائح الباطنية" وكان هجومه عليهم عفيفا مخلصا، لا هوادة فيه، إذ إنه كان يعرق مدى خطرهم الداهم على الإسلام.

وألف أيضا "قواصم الباطنية" و"جواب المسائل الأربعة" التي سألها الباطنية ب "همذان" و كتاب " القسطاس المستقيم" ، حيث أوضح فيه فساد القول بالإمام المعصوم، وأظهر الاستغناء عنه لمن أحاط به.

وكتاب" الدرج المرقوم بالجداول " حيث تناول ركيك كلامهم ومسائلهم

وتكلم عليهم في كتاب "مفصل الخلاف"، وكتاب "حجة الحق".[2]

أوضح الغزالي في كتابه " المنقذ من الضلال" سبب اضطلاعه على مؤلفاتهم، ودراستها، وتناولها بالفحص والتمحيص، حيث يقول:

<< وكان قد نبغت نابغة التعليمية، وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق، فعن لي أن أبحث عن مقالاتهم، لأطلع على ما في كتبهم، ثم اتفق أن ورد علي أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم، فلن يسعني مدافعته، وصار ذلك مستحثا من خارج، ضميمة للباعث الأصلي من الباطن، فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم،

[1] يوسف القرضاوي ، الإمام الغزالي بين مادحيه و ناقديه ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ط4 ، 1414هـ،1994م ، ص 61

[2] علي معوض و عادل عبد الموجود ، الوجيز في فقه أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، ج 1 ، دار الأرقم ، بيروت ، لبنان ط1، 1418هـ،1997م ، ص 61.

وكان قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي ولدتها خواطر أهل العصر، لا على المنهاج المعود من سلفهم، فجمعت تلك الكلمات، ورتبتها ترتيبا محكما مقارنا للتحقيق، واستوفيت الجواب عنها>>.[1]

ألف الغزالي في هذا المذهب العديد من المصنفات، التي هاجم فيها آرائهم وأفكارهم من أبرزها كتاب فضائح الباطنية و فضائل المستظهرية.

وكتاب "المستضهري" هو أول كتاب رد به الغزالي على الباطنية من بين كتبه في هذا الموضوع فقد ذكر في "المنقذ من الضلال" و هو يتحدث عن موقفه من التعليمية (الباطنية) ما يلي: وليس الآن بيان فساد مذهبهم فقد ذكرت ذلك في كتاب "المستظهري" أولا وفي كتاب حجة الحق ثانيا، وهو جواب كلام لهم عرض عليّ ببغداد وفي كتاب "مفصل الخلاف"–الذي هو اثنا عشر فصلا– ثالثا، وهو جواب عرض عليّ بهمذان، وفي كتاب "الدرج المرقوم بالجداول" رابعا وهو من ركيك كلامهم عرض علي بطوس، وفي كتاب "القسطاس المستقيم" خامسا وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم، وإظهار الاستغناء عن الإمام المعصوم لمن أحاط به...ويضاف إلى هذه الكتب : "قواصم الباطنية"..."جواب المسائل الأربع".[2]

2/3_سبب تأليف كتاب" فضائح الباطنية":

لقد كان الغزالي صريحا في غاية الصراحة في مقدمة كتابه "فضائح الباطنية " حينما أخبر قارئه بأنه ألف الكتاب تلبية ل "الأوامر المقدسة الشريفة النبوية المستظهرية، نسبة إلى الخليفة المستظهر العباسي.[3]

والمبرر واضح، فلقد كانت التنظيمات الباطنية الإسماعيلية، التي كانت الدولة الفاطمية في مصر تقف وراءها تهدد تهديدا جديا الدولة السلجوقية و الخليفة العباسي الذي تستظل به.[4]

---

[1] نقلا عن علي معوض و عادل عبد الموجود ، الوجيز في فقه أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، ج 1 ، دار الأرقم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1418هـ،1997م ، ص 60.

[2] نقلا عن عبد الرحمن بدوي ، فضائح الباطنية أبو حامد الغزالي، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1383هـ،1964 ، ص هـ و.

[3] محمد عابد الجابري ، تهافت التهافت، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 ، ص 39.

[4] المصدر نفسه ، ص 39 .

ولهذا استهدف الغزالي من هذا الكتاب هدفين: إظهار فضائح الباطنية، وهو أمر يتعلق بالعقيدة، وبيان فضائل المستظهرية، أي خلافة المستظهر بالله العباسي، وهو أمر يتعلق بالسياسة. ومن هنا جاءت تسمية الكتاب ب "المستظهري" في " فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية".[1]

3/ 3_ كتاب فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية 488هـ

3/ 3_أ: _ مقدمة المؤلف:

الحمد لله الحي القيوم الذي لا يستوي على كنه قيامه وصف واصف...في تصنيف كتاب في الرد على الباطنية مشتمل على الكشف على بدعهم وضلالتهم، وفنون مكرهم و ضلالاتهم، وفنون مكرهم واحتيالهم، ووجه استدراجهم عوام الخلق وجهالهم، وإيضاح غوائلهم في تلبيسهم و خداعهم، وانسلالهم عن ربقة الإسلام ، وانسلاخهم و انخلاعهم وإبراز فضائحهم ....وانتدبت لتصنيف هذا الكتاب مبنيا على عشرة أبواب، سائلا من الله سبحانه التوفيق لشاكلة الصواب وسميته (فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية) والله تعالى الموفق لإتمام هذه النية وهذا ثبت الأبواب:

- الباب الأول: في الإعراب عن المنهج الذي استنهجته في سياق هذا الكتاب
- الباب الثاني: في بيان ألقابهم والكشف عن السبب الباعث لهم عن نصب هذه الدعوة المضلة
- الباب الثالث: في بيان درجات حيلهم في التلبيس والكشف عن سبب الاغترار بحيلهم مع ظهور فسادها
- الباب الرابع: في نقل مذهبهم جملة و تفصيلا
- الباب الخامس: في تأويلاتهم لظواهر القرآن واستدلالهم بالأمور العددية وفيه فصلان : الفصل الأول في تأويلهم للظواهر، و الفصل الثاني في استدلالاتهم بالأعداد و الحروف،
- الباب السادس: في إيراد أدلتهم العقلية على نصرة مذهبهم والكشف عن تلبيساتهم التي زوقوها بزعمهم في معرض البرهان على إبطال النظر العقلي .
- الباب السابع: في إبطال استدلالهم بالنص على نصب الإمام المعصوم
- الباب الثامن: في مقتضى فتوى الشرع في حقهم من التكفير و التخطئة وسفك الدم.

[1] عبد الرحمن بدوي، فضائح الباطنية أبو حامد الغزالي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1383هـ،1964، ص: ح.

- الباب التاسع: في إقامة البرهان الفقهي الشرعي على أن الإمام الحق في عصرنا هذا هو الإمام المستضهر بالله حرس الله ضلاله
- الباب العاشر: في الوظائف الدينية التي بالمواظبة عليها يدوم استحقاق الإمامة.

3 / 3_ب: هذه ترجمة الأبواب.[1]

بدأ الغزالي مقدمة المؤلف بحمد الله عز وجل، وذكر سبب التأليف، بأنه أراد التصدي لتلك الفرقة الضالة في نظره وكشف بدعهم و مكرهم، وأوضح لنا و الطريقة التي صنف بها الكتاب حيث اعتمد فيها على تبويبه إلى عشرة أبواب، وبعد ذلك سأل الله التوفيق، وصرح أنه سما الكتاب ب: " فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية ".

قال الغزالي في آخر الكتاب: << وهذا القدر الذي روي من الآثار والأخبار و سير الخلفاء وأئمة الأعصار كاف للمتعظ به وللمصغي إليه في تهذيب الأخلاق و معرفة وظائف الخلافة، فالعامل به مستغن عن المزيد والله ولي التوفيق.>>[2]

وضع الغزالي في كتابه" فضائح الباطنية من الآثار و الأخبار وسير الخلفاء ما رأى أنه كاف في حق المطلع عليه من أجل معرفة وظائف الخلافة .

[1] محمد علي القطب ، فضائح الباطنية أبي حامد الغزالي، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1422هـ،2001، ص، ص 11-15.

[2] نقلا عن محمد عقيل بن علي المهدلى، مدخل إلى دراسة مؤلفات الغزالي، دار الحديث ، القاهرة ، ص 61.

الفصل الثالث: الانتاج المعرفي للغزالي بعد الخلوة

- المبحث الاول: في الاخلاق
- المبحث الثاني: في التصوف

لاحظ الغزالي ظروف الحياة في عصره، فوجد فيها الفساد في العقائد، والانحراف في الأخلاق، والخطأ في العبادة و المعاملة، وأمام هذه الأمور المؤسفة، فكر الغزالي في كيفية الإصلاح لهذه الظروف، قرر أن يرشد الناس إلى الصراط المستقيم في عقائدهم وأخلاقهم وعباداتهم و معاملاتهم، بأن يكتب لهم كتبا، تنفعهم في دنياهم، وأخراهم، فكتب كتبا عن تجربته الروحية و ما ناله منها، من أجل استفادة الناس منها، كتبا في الأخلاق، والعادات و العبادات، والتصوف، والفقه، والتفسير، فمنها ما ألفه قبل خلوته، ومنها ما ألفه بعدها، فقد كان مقصوده و مبتغاه أن يهديه الله و يهدي به، ومن الكتب التي ألفها بهذا الخصوص أذكر: إحياء علوم الدين وقد تضمن فكر الغزالي الأصيل، و هو من أروع ما ألف الغزالي، فهو يعد من أعظم وأشمل المؤلفات التي ألفت في علوم الدين، مناهج العابدين، المنقذ من الضلال، ميزان العمل، بداية الهداية، أيها الولد، الأدب في الدين، مناهج العارفين، الكشف و التبيين في غرور الخلق أجمعين، روضة الطالبين و عمدة السالكين، خلاصة المختصر، البسيط و الوسيط، و الوجيز، تهذيب الأصول، المستصفى من علم الأصول، الرسالة القدسية، شفاء العليل في أصول الفقه، الرسالة الوعظية، مشكاة الأنوار، جواهر القرآن، الأربعين في أصول الدين، مناهج العارفين، القواعد الغشرة، كيمياء السعادة، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، الحكمة في مخلوقات الله....وغيرها من الكتب التي لا تعد على الأصابع، وما سأتناوله بالتفصيل في هذا الفصل: كتاب إحياء علوم الدين و مناهج العابدين في الأخلاق، و المنقذ من الضلال في التصوف التي ألفها في فترة الخلوة و ما بعدها.

1/ المبحث الأول: في الأخلاق

استحق الغزالي ببحوثه العميقة في الأخلاق، و بتأليفه العظيم " إحياء علوم الدين " أن يوضع في الصف الأول من علماء الأخلاق، و أن يكون موضع دراسة وعناية من الباحثين في علم الأخلاق، وعلم النفس و المؤرخين لهذا الموضوع.

<<... ولعلم الأخلاق فيما يريد أسماء متعددة، فهو تارة يسميه علم طريق الآخرة، وأخرى يسميه علم صفات القلب، وحينا يسميه أسرار معاملات الدين، وربما سماه أخلاق الأبرار، وهو اسم لبعض مؤلفاته، وأهم كتبه في الأخلاق نجده سماه "إحياء علوم الدين" ، فعلم الأخلاق عنده هو تكييف النفس وردها إلى ما رسمته الشريعة وخطه رجال المكاشفة من علماء الإسلام، ومن سبقهم من الأنبياء، والصديقين، والشهداء.>>[1]

ولكنه في ص 52 ج3 "إحياء" عرف الخلق تعريفا دقيقا فقال: << الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة فكر و روية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا و شرعا، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر خلقا سيئا >>..ثم قال:<< فالخلق إذن هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة>>[2]

الخلق عند الغزالي هو الهيئة التي تصدر عنها الأفعال سواء كانت خيرا أم شرا، فإن صدر منها الأفعال الفضيلة تسمى خلقا صالحا، و صدر عكس ذلك تسمى خلقا رديئا، كما قال أن الخلق هو صورة النفس الباطنة.

و الغزالي يهتم كثيرا برياضة النفس على ما يرغب النفس المرء في مكارم الأخلاق، ويرى كسب الخلق بسبب التخلق من عجيب العلاقة بين القلب و الجوارح ويقول في ذلك:

يبقى أثر الصفات الحميدة، أو المذمومة في القلب، وتصبح صفة للنفس، وتظهر تلك الصفات على الجوارح

[1] زكي مبارك ، الأخلاق عند الغزالي، دار الجيل ، بيروت، ط1 ، 1408هـ،1988م، ص 151.

[2] نقلا عن زكي مبارك، المرجع نفسه ، ص 162.

<< كل صفة تظل في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وقفها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب >>...ومن هنا كان الغزالي يرى أن الكبيرة الواحدة، لا توجب الشقاء المؤبد، لأنها بدون التكرار، لا تصبح صفة للنفس، ولا معنى للشقاء المؤبد إلا أن تصير إحدى الرذائل صفة نفسية لأحدى الناس >>[1]

1/ 2_ علامات حسن الخلق عند الغزالي:

يتحاكم الغزالي في هذا الباب إلى القرآن، إذ لأن الله تعالى ذكر في كتابه صفات المؤمنين والمنافقين، وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وبعد أن سرد جملة الآيات قال:<< فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات، فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وفقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض، فليشتغل بتحصيل ما فقده، وحفظ ما وجده >>[2]

يقول الغزالي أن جميع الأخلاق التي يجب على الإنسان التحلي وكل الأخلاق التي وجب عليه الانصراف عنها مذكورة في القرآن الكريم، ويقول أنه من أراد معرفة صفاته فليرجع إلى كتاب الله وليعمل على تقوية خصاله الحميدة و إصلاح ما و جده ناقص في نفسه.

1/ 3_غاية الأخلاق عند الغزالي:

غاية الأخلاق – فيما يرى الغزالي– هي السعادة الأخروية وقد فصل هذا في الفصل الأول من "الميزان" ويقول في ص 117 من هذا الكتاب:<< إن السعادة الحقيقية هي الأخروية، وما عداها سميت سعادة، إما مجازا وإما غلطا، كالسعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة، و إما صدقا، ولكن الاسم على الأخروية أصدق، وذلك كل ما يوصل إلى السعادة الأخروية ويعين عليها، فإن الموصل إلى الخير و السعادة، قد يسمى خيرا و سعادة.>>[3]

يعتبر الغزالي أن كل سعادة دنيوية هي سعادة مؤقتة و نسبية إذ لم يحصل من ورائها على سعادة أخروية تسمى سعادة بالغلط لأن السعادة الحقيقية هي السعادة الأخروية.

---

[1] زكي مبارك ، الأخلاق عند الغزالي، ط1، دار الجيل ، بيروت ، 1408هـ،1988م، ص 154.

[2] نقلا عن زكي مبارك،المرجع نفسه، ص159.

[3] نقلا عن زكي مبارك، المرجع نفسه ، ص162.

1 / 2_ كتاب " إحياء علوم الدين 495 هـ

لقد كان لمؤلفات الغزالي أثرها البالغ في الفكر الإسلامي خاصة و في الفكر الإنساني عامة.

و من أهم مؤلفاته: إحياء علوم الدين، وهذا الكتاب تضمن فكر الغزالي الأصيل، فهو كتاب يشع العلم و النور و الإيمان و المعرفة، ويدعو إلى الأخلاق الفاضلة و الآداب الحميدة، كما يدعو إلى تزكية النفس و ترقيتها حتى تصل إلى مقام الإحسان[1]

يقول الحافظ الفقيه أبو الفضل العراقي مخرج أحاديث الإحياء : إنه من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال و الحرام ، جمع فيه بين ظواهر الأحكام، و نزع إلى سرائر دقت عن الأفهام، لم يقتصر فيه على مجرد الفروع و المسائل، ولم يتبحر في اللجة بحيث يتعذر الرجوع إلى الساحل، بل مزج فيه علمي الظاهر والباطن، ومزج معانيها في أحسن المواطن، وسبك فيه نفائس اللفظ وضبطه، وسلك فيه من النمط أوسطه ، مقتديا بقول على كرم الله وجهه: خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق به التالي ويرجع إليهم الغالي.[2]

و من هنا نرى أن كتاب "الإحياء" يعد من أنفس الكتب التي ألفها الإمام الغزالي في عزلته ومن أجل كتبه حيث لاقى شهرة ورواج كبيرين في المكتبات الإسلامية وكان له صدى كبير بين العلماء المسلمين و الباحثين في مجال الدين و الأخلاق.

_ يعد الكتاب موسوعة علمية في بابه، وقد أقامه مؤلفه على أربعة أقسام ... ثم قسم كل ربع من هذه الأرباع إلى عشرة كتب، وبهذا يكون مجموع كتب الكتاب أربعين كتابا، يعد كل واحد منها وافيا في الموضوع الذي وضع له، ولذا طبعت بعض هذه الكتب منفردة مثل كتاب الغرور.[3]

---

[1] عبد الفتاح محمد سيد أحمد، التصوف بين الغزالي و ابن تيمية، دار الوفاء ، ط1 ، 1420هـ،2000م ، ص 52.

[2] صالح أحمد الشامي ، الغزالي ، دار القلم ، دمشق، ط1، 1413هـ، 1993م، ص، ص 157-158.

[3] المرجع نفسه ، ص 146.

وقد بدأ المؤلف كتابه ب " كتاب العلم " لأنه غاية المهم، كما يقوا المؤلف في المقدمة، وذلك ليكشف عن العلم الذي تعبد الله– على لسان رسول الله "صلى الله عليه وسلم"– الأعيان بطلبه، وليميز فيه العلم النافع من الضار.[1]

ذكر المؤرخون أن الغزالي حدث بكتاب الإحياء، بعد عودته إلى بغداد من رحلته إلى بلاد الشام، أي بعد تلك الفترة التي عزفت فيها نفسه عن الدنيا، وزهدت فيها وقطع فيها، العلائق بينه و بين الناس، وذكروا أنه كان يحدث بهذا الكتاب في مجالس الوعظ، وروي ابن النجار أن الغزالي << لم يكن له أستاذ و لا طلب شيئا من الحديث >>[2]

1/ 2_أ: سبب تأليف " إحياء علوم الدين":

يقول في أول كتابه الإحياء:<< فأما طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالى في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء و نورا و هداية ورشدا فقد أصبح من بين الخلق مطويا، وصار نسيا منسيا، ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلهما، رأيت الإشتغال بتحرير بهذا الكتاب مهما "إحياء علوم الدين " كشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين، وإيضاحا لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين >>[3]

إذن فقد رأى الغزالي انشغال الخلق عن القرآن الكريم وعن قوانينه بالدنيا وأهوائها فارتئ إلا أن يؤلف الإحياء من أجل تذكير الناس وإحياء القرآن وكشرح لعلوم الأنبياء و السلف الصالح.

أهم الكتب التي تأثر بها الغزالي من بين كتب الصوفية كتاب"قوت القلوب في معاملة المحبوب" تأليف أبي طالب المكي المتوفي سنة ست و ثمانين وثلاثمائة ببغداد...ويعد هذا الكتاب – بحق – مصدرا لكتاب الإحياء ويكفي أن تقرأ باب التوكل مثلا في الكتابين لتعرف أنهما يسيران في طريق واحد، إلى غاية واحدة [4]

---

[1] صالح أحمد الشامي ، الغزالي، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1413هـ، 1993م ، ص 146.

[2] بدوي طبانة ، إحياء علوم الدين الغزالي، ج1 ، مكتبة و مطبعة كرياتا فوترا سماراغ ، ص 23.

[3] الغزالي ، إحياء علوم الدين ، تقريب التراث ، إعداد و دراسة إصلاح عبد السلام الرفاعي، إشراف و مراجعة عبد الصبور شاهين، مركز الأهرام ، القاهرة ، ط1 ،1408 ، 1988 ، ص86.

[4] زكي مبارك ، الأخلاق عند الغزالي ، دار الجيل ، بيروت، ط1 ، 1408هـ،1988م ، ص 85.

هو أهم ما كتب الغزالي في الأخلاق، ألفه في أخريات حياته حين جنح إلى اعتزال الناس، ثم قرأه في دمشق و بغداد، ووضع له مختصرات عديدة، منها الوجيز و المبسوط.[1]

1/ 2_ب: تقسيم كتاب " الإحياء ":-

قسم الغزالي كتاب " الإحياء " إلى أربعة أقسام أو أربعة أرباع كما سماها، ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات ويتضح لمن ينظر إلى دراسة الإمام الغزالي لهذه الموضوعات أنها تعالج النفس الإنسانية من كل جوانبها.

لقد درس فيها الغزالي الإنسان مع ربه، والإنسان مع نفسه، والإنسان مع غيره من الناس، وتهدف تلك الدراسات إلى استخلاص أسباب السعادة في الدنيا و الآخرة، أو معرفة الأسباب التي تكون بها الحياة سبيلا إلى الآخرة، أو تسخير ما منح العبد من إرادة وقوة و اختيار، لتكون حجته حين يسلب الحياة والإرادة و القوة و الاختيار.[2]

وكان الذي حفز الغزالي غلى تلك البحوث المستفيضة ما رأى من فتور الاعتقادات في أصل النبوة، ثم في حقيقة النبوة، ثم في العمل بما شرحته النبوة، وتحقيق شيوع ذلك بين الخلق، فنظر في أسباب الفتور وضعف الإيمان، فإذا هي أربعة:

1. سبب من الخائضين في علم الفلسفة
2. وسبب من الخائضين في طريق التصوف
3. وسبب من المنتسبين إلى دعوى التعليم
4. وسبب من معاملة الموسومين بالعلم فيما بين الناس.[3]

قام الغزالي بتفنيد كل دعوى من هذه الدعاوي، ومعرضة الشبه التي فيها والتي أدخلت الشك والريب في الدين وقواعد العبادات وصرفها عن عملها.

[1] زكي مبارك ، الأخلاق عند الغزالي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1408هـ،1988م ، ص 105.
[2] بدوي طبانة ، إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، ج1 ، مكتبة و مطبعة كرياتا فوترا سماراغ ، ص 23.
[3] نفس المرجع ، ص 28.

3/1_ المميزات التي خصت كتاب " الإحياء ":

1 /3_أ: العرض السليم للموضوع:

وقد استطاع بواسطة الأمثلة أن يتغلب على الحواجز الفكرية التي قد تكون عقبة دون فهم، وقد أوتي قدرة عظيمة على استجلاب الأمثلة التي توصله إلى الغرض، الذي هو الوصول ذهن القارئ و عاطفته.[1]

وبهذا أتيح لغير المثقفين و المتعلمين أن يتعاملوا مع الكتاب، وأن يفهموا عنه ما يريد، فكانت تلك ميزة أخرى ساعدت على وصول صوت المؤلف إلى كثير من الأسماع، وقد كان الغزالي واعيا لذلك تماما، وقد بينه بقوله: << ومقصود مثل هذا الكتاب –كتاب شرح عجائب القلب من كتاب إحياء علوم الدين _ أن ينتفع به الأقوياء، والفحول من العلماء، ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة، ليقرب ذلك من أفهامهم >>.[2]

ونذكر مثالا على ذلك مما ضربه من الأمثلة للقلب مع جنوده الباطنة قال : << و اعلم أن البدن كالمدينة، و العقل– أعني المدرك من الإنسان– كملك مدبر لها وقواه الدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده و أعوانه، و أعضاؤه كرعيته، و النفس الأمارة بالسوء، التي هي الشهوة و الغضب، كعدو ينازعه في مملكته، ويسعى في إهلاك رعيته. فصار بدنه كرباط وثغر، ونفسه كمقيم فيه مرابط، فإن هو جاهد عدوه و هزمه، وقهره على ما يجيب حمد أثره، وإن ضيع ثغره و أهمل رعيته ذم أثره>>.[3]

1/ 3_ب: النظرة الشاملة:

1/ عرض الغزالي الإسلام في كتابه على أنه وحدة غير قابلة للتجزئة، و كما أن الإنسان مكون من جسم وروح وعقل، وكذلك فإن الإسلام يتعامل مع الإنسان في جوانبه الثلاثة في تناسق عجيب، وقد أوضح لنا الغزالي كيف توصل إلى هذه النظرة الكلية التي استوعبت أوامر الإسلام، فقال : << إن علم المعاملة ينقسم إلى :

_ علم ظاهر: أعني العلم بأعمال الجوارح.

---

[1] صالح أحمد الشامي ، الغزالي، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1413هـ، 1993م، ص 153.

[2] نقلا عن صالح الشامي، نفس المرجع ، ص، ص 153-154.

[3] نقلا عن صاح الشامي، نفس المرجع ، ص 154.

_ وإلى علم باطن: أعني العلم بأعمال القلوب>>.[1]

2/ وقد كان للغزالي ما أراد، فقد وجد كل مسلم حاجته في هذا الكتاب: من فقه عباداته و معاملاته، و آداب عاداته، وما يلزم معرفته في مسائل الاعتقاد، إلى طرف من سلوكه صلى الله عليه وسلم ...وجانب من الأخلاق ...وحكايات عن السلف الصالح [2]

1/ 3_ج: _ تزكية النفس:

إن الغاية التي يهدف إليها الربعان : الثالث و الرابع من كتاب "الإحياء" هي تزكية النفس، هذا الجانب الذي لم يحظ من المؤلفين، قبل الغزالي إلا باليسير. فلما جاء الغزالي، بحث عن الأخلاق ودوافعها، ومنشأها...بحثا دقيقا، حيث تكلم عن أمراض القلب و أسبابها، وعلاجها و كيفية المعالجة.[3]

1/ 4 _ تقسيم كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي :

ويشتمل ربع العبادات على عشرة الكتب: كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب اسرار الصلاة، وكتاب أسرار الزكاة، وكتاب أسرار الصوم، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرآن، وكتاب الأذكار و التلاوات، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات.

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب : كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب، وكتاب الحلال و الحرام، وكتاب آداب الصحبة و المعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السمع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وكتاب آداب المعيشة و أخلاق النبوة.

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب : كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج، و كتاب آفات اللسان، و كتاب آفات الغضب والحقد و الحسد، و كتاب ذم الدنيا، وكتاب ذم المال و البخل، و كتاب ذم الجاه و الرياء، و كتاب ذم الكبر والعجب، و كتاب ذم الغرور.

[1] نقلا عن صالح أحمد الشامي، الغزالي، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1413هـ،1993م ، ص، ص 150-151.

[2] المرجع نفسه ، ص152.

[3] المرجع نفسه ، ص 152.

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر و كتاب الخوف والرجاء و كتاب الفقر و الزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة و الشوق و الأنس والرضا وكتاب النية والصدق و الإخلاص وكتاب المراقبة و المحاسبة وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت.[1]

تفصيل :-

أقسام الإحياء: العبادات – العادات – المهلكات – المنجيات – أسباب الفتور و ضعف الإيمان – الإحياء و التربية – صنوف الناس في نظر الغزالي وما ينبغي أن يؤخذ به كل صنف– الشريعة والفلسفة والتصوف في الإحياء – الخاتمة.[2]

ويتناول القسم الأول إضافة إلى العلم، بحث العقيدة، و العبادات، و الأذكار و الأوراد كما يتناول القسم الثاني آداب الأكل و النكاح، وأحكام الكسب، وآداب السفر...أما الثالث : فيتناول شرح عجائب القلب من الآفات التي تنتابه كالغضب و الكبر و الحسد... ويتناول الرابع المنجيات : كالتوبة و الخوف، والرجاء و الصدق و الإخلاص[3]

1/ 5 _ فاتحة كتاب "إحياء علوم الدين ":

<< أحمد الله أولا حمدا كثيرا متواليا، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين، وأصلي و أسلم على رسله ثانيا صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين، وأستخيره ثالثا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين، وأنتدب لقطع تعجبك رابعا العاذل المتغالى في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع و الإنكار من بين طبقات المنسكرين الغافلين، فلقد حل لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الخلق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب، وتدارك ما فرط من إضاعة العمر يأسا من تمام التلافي و الجبر وانحيازا عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه:<< أشد الناس عذابا عالما لم ينفعه الله تعالى

[1] بدوي طبانة ، إحياء علوم الدين للغزالي، ج1 ، مكتبة و مطبعة كرياطة فوترا سماراغ ، ص 4.

[2] المصدر نفسه، ص 29.

[3] صالح أحمد الشامي ، الغزالي، دار القلم ، دمشق، ط1 ، 1413هـ،1993م ، ص 146.

بعلمه>>.... فأما علم طريق الآخرة، وما درج عليه السلف الصلح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقها و حكمة و علما وضياء و نورا وهداية و رشدا فقد أصبح من بين الخلق مطويا، و صار نسيا منسيا، و لما كان هذا ثلما في الدين ملما و خطبا مدلهما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما: إحياء علوم الدين وكشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين، و إيضاحا لمناهي العلوم النافعة عند النبيين و السلف الصالحين، و قد أسسته على أربعة أباع، وهي ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات، وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أولا عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم الأعيان بطلبه إذ قال صلى الله عليه وسلم: << طلب العلم فريضة على كل مسلم>> وأميز فيه العلم النافع من الضار، إذ قال صلى الله عليه و سلم:<< نعوذ بالله من علم لا ينفع >> وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب، وانخداعهم بلامع السراب، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب>>

ابتدأ الغزالي افتتاحية الإحياء بحمد الله و الصلاة على النبي صلى الله غليه وسلم، ثم طلب من الله إعانته في إتمام عمله هذا على ما يجب أن يكون عليه من جلب للمنافع و درأ للمفاسد، ثم ذكر أن الله تعالى أنه قد أنار قلبه بالعلم و حل عقدة الكلام عنده ليجتهد بأن يكون علمه في تزكية النفس وإصلاح القلب و نيل رضا الرحمن حتى ينتفع الناس بعلمه وأيضا بأن يخرج من الذين قال فيهم صلى الله عليه و سلم أنهم أشد الناس عذابا لأنهم لم ينتفعوا بما هداهم الله من العلم، ثم ذكر السبب الذي دفعه في تحرير هذا الكتاب، بأنه قد لاحظ اشتغال الخلق عن القرآن الكريم و بعدهم عنه، فأبى إلا أن يؤلف "الإحياء" للتذكير بعلوم الأنبياء و المتقدمين الصالحين، و وضح سبب التسمية بإحياء علوم الدين فقال أن المبتغى من هذا العمل توجيه الناس إلى الطريق الحق وردهم عن إتباع العلوم الغير النافعة ثم عدد أقسام كتابه الأربعة.[1]

[1] الغزالي ، محمد الحافظ عبد اللطيف سالم التجاني ، بتخريجي الحافظ زين الدين العراقي و السيد المرتضى الزبيدي ، إحياء علوم الدين ، وفي الهامش نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ، المطبعة النموذجية ، 1859، 1982.

1/ 6 _ من آراء الغزالي في "الإحياء":

في بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص و الأحوال فلا ينفك عنه أحد البتة:

<< اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل هذا إذ قال تعالى: " وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون" فعمم الخطاب – ونور البصيرة أيضا يرشد إليه إذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب إلى الشيطان و لا يتصور ذلك إلا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب و سائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسان إذ كمال العقل إنما يكون عند مقارنة الأربعين وأصله إنما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين و الشهوات جنود الشياطين والعقول جنود الملائكة >>[1]

التوبة كما قال الغزالي تخص الجميع دون استثناء و هي التخلي عن الأفعال و الأقوال المبعدة عن الله تعالى و المقربة إلى الشيطان وهذا ما يصدر من الإنسان العاقل حيث يعتبر العقول جنود الملائكة أي هي التي تنير طريق الخير.[2]

في بيان فضيلة الصبر:

<< قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر و جعلها ثمرة له فقال عز من قائل– وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا– وقال تعالى – وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا–وقال تعالى – ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون– وقال تعالى _ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا – و قال تعالى – إنما يوفى الصابرون وأجرهم بغير حساب – فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى : – الصوم لي وأنا أجزي به – فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم >>

[1] إحياء علوم الدين ، بدوي طبانة ، ج4 ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، ص 9.

[2] المصدر نفسه ، ص 60.

تحدث الغزالي عن منزلة الصبر عند الله عز وجل و في الدين مستدلا بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية مبينا قيمة الصبر وجزاء الصابرين و مكانتهم عند الله عز وجل وقد كان واضح اللفظ صريح العبارة.

في بيان حقيقة الزهد:

<< اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين و ينتظم هذا المقام من علم و حال وعمل كسائر المقامات لأن أبواب الإيمان كلها كما قال السلف ترجع عقد و قول و عمل وكأن القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن وإلا فليس القول مرادا لعينه وإن لم يكن صادرا عن حال سمي إسلاما ولم يسمى إيمانا والعلم هو السبب في حال يجري مجرى الثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم و العمل أما الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فأنما عدل عنه لرغبته عنه وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره فحاله بالإضافة إلى العدول عنه يسمى زهدا بالإضافة إلى العدول إليه يسمى رغبة و حبا فإذن يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا إذ تارك الحجر و التراب وما أشبه لا يسمى زاهدا وإنما يسمى زاهدا من ترك الدراهم و الدنانير لأن التراب و الحجر ليسا في مظنة الرغبة >>[1]

الزهد مقام رفيع من مقامات العبّاد، به يظهر الحال الباطن وهو ترك الرغبة في الشيء إلى طمعا ورغبة في شيء أفضل منه، فترك المرغوب فيه كترك ملذات الدنيا و السعي إلى العبادة هو حال الزهد، ولا يسمى ترك غير المرغوب فيه زهدا.[2]

رأي الغزالي في بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده:

<< وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله و قصوره في معرفة الله تعالى وحب الرسول صلى الله عليه و سلم محمود لأنه عين حب الله تعالى و كذلك حب العلماء و الأتقياء لأن

[1] الغزالي ، إحياء علوم الدين ، بدوي طبانة ، ج4 ، دار إحياء الكتب العربية ، بمصر، ص 211.
[2] المصدر نفسه ، ص 293.

محبوب المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تعالى و لا مستحق للمحبة سواه >>

المحبة هي لله وحده في رأي الغزالي و لا يستحقها غيره و من أحب غير الله قاصر جاهل في معرفته لله تعلى أما عن محبة الرسول صلى الله عليه و سلم و العلماء و الأتقياء فهو جزء من محبة الله تعالى لأن الله تعالى يحبهم فمحبتهم من محبته.

في بيان حد الشكر و حقيقته:

<< اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضا ينتظم من علم و حال و عمل فالعلم هو الأصل فيورث الحال و الحال يورث العمل، فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم و الحال هو الفرح الحاصل بأنعامه و العمل هو القيام بما هو مقصود المنعم و محبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح و باللسان ولابد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعة الإحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الإحاطة بكمال معانيه..>>[1]

عرف الغزالي الشكر بأنه يرتكز على ثلاثة أمور وهي العلم و الحال و العمل و قد شرح كل منها و قد أشاد بهذه الصفة فشكر الله على نعمه من آداب العبد تجاه خالقه.

في بيان حقيقة الرجاء:

<< ... فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبقى إلا ما ليس يدخل تحت اختياره و هو فضل الله تعالى بصرف القواطع و المفسدات فالعبد إذا بث بذر الإيمان و سقاه بما الطاعات وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة و القيام بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت >>[2]

[1] الغزالي ، إحياء علوم الدين ، بدوي طبانة ، ج4، دار إحياء الكتب العربية ، بمصر، ص 79.

[2] المصدر نفسه ، ص 140.

الرجاء عند الغزالي يتحقق عندما يصدق العبد ربه و ذلك بكف النفس عن الهوى و صرفها عن المعاصي وكسر شهواتها بالطاعات و تقوية الإيمان في القلب و هنا يكون الرجاء بنيل المغفرة و الثواب من الله تعالى وحسن الخاتمة صادقا حقيقيا فالرجاء هنا يصبح معينا للعبد على المواظبة على العمل في الدنيا من أجل الفوز بالآخرة.

رأي الغزالي في آداب الأحبة:

<< اعلم أن التحابب في الله تعالى و الأخوة في دينه من أفضل القربات، وهو ثمرة حسن الخلق وكلاهما محمودان أما حسن الخلق فقال تعالى فيه:<<وإنك لعلى خلق عظيم>> ، وأما الأخوة و الألفة فقال تعالى فيهما:<<فأصبحتم بنعمته إخوانا>> وقال تعالى: << لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم>>الآية، وقال صلى الله عليه وسلم:<< إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يؤلفون و يألفون>> [1]

محبة العبد لأخيه في الله من أفضل السمات الأخلاقية و التآخي في الدين و الألفة وأروع مثال في هذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد نزلت آيات عديدة في أكثر من موضع قد ذكر منها الغزالي و أيضا الأحاديث النبوية، أما الذين هم يتحلون بالأخلاق و بالألفة و التآخيهم أكثر الناس قربا إلى الله تعالى و نبيه صلى الله عليه وسلم.

_ بيان معنى سوء الخاتمة:

<< فإن قلت: إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة. فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين إحداهما أعظم من الأخرى. فأما الرتبة العظيمة الهائلة: فأن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك : وإما الجحود فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه و بين الله تعالى أبدا وذلك يقتضي البعد الدائم و العذاب المخلد، والثانية و هي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة

[1] محمد بن محمد أبي حامد الغزالي ،مختصر إحياء علوم الدين ، ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان. ط1، 1410هـ،1990م، ص 104.

من شهواتها فيمثل ذلك في قلبه و يستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال >> [1]

يقول الغزالي في سوء الخاتمة أنها على درجتين، درجة كبيرة كبر عقوبتها و هي أن يقع في القلب جحود أو شك يحجب بين العبد والله تعالى يؤدي الى بعده عن خالقه و يكسبه العذاب الخالد فتقبض روحه على حالته هذه، أما الدرجة الثانية فيقول بأن قلب الإنسان يتعلق بشهوة من شهوات الدنيا فتملأ قلبه و لا يبقى متسع في قلبه لعمل صالح فتقبض روحه على هذا الحال.

1 / 7_ خاتمة كتاب " إحياء علوم الدين":

نجد في كل جزء من أجزاء إحياء علوم الدين خاتمة على النحو الآتي:

قال في آخر الجزء الأول: << والله أعلم، وصلى الله على كل عبد مصطفى من العالمين >>

وقال في آخر الجزء الثاني: << تم كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة بحمد الله و عونه ومنه و كرمه ويتلوه كتاب شرح عجائب القلب من ربع المهلكات إن شاء الله تعالى >>

وقال في آخر الجزء الثالث: << تم كتاب ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات، ويتلوه في أول ربع المنجيات: كتاب التوبة، والحمد لله أولا وآخرا و صلى الله وسلم على من لا نبي بعده وهو حسبي و نعم الوكيل ولا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.>>

وقال في آخر الجزء الرابع << فهذه الأحاديث و ما أوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى، فنرجوا من الله تعالى أن لا يعاملنا بما لنستحقه، ويتفضل علينا بما هو أهله و بمنه وسعة جوده ورحمته.>>[2]

<<... وبقى أن نذكر أن الغزالي لم يكتف في تلك العبادات بذكر أحكام الشرع كما يفعل الفقهاء في دروسهم و في تصانيفهم، ولكنه أضاف إلى تلك كثيرا من البحوث الروحية و النفسية و العقلية، وتعمق

[1] الغزالي ، إحياء علوم الدين ، بدوي طبانة ، ج4 ، دار إحياء الكتب العربية ، بمصر، ص 171.

[2] نقلا عن السيد محمد عقيل بن على المهدلى، مدخل إلى دراسة مؤلفات الغزالي ، دار الحديث ، القاهرة ، ص، ص 69-70.

في فهم أسرارها وحكمها وسبل إجادتها و تحليتها من الشوائب بدرجة لم يسبق لها مثيل، وفي استيعاب ليس له نظير.[1]

في تلك الدراسات يجد المتفقه رغبته، ويجد المتصوف طلبته، ويجد صاحب العقل و الباحث عن اليقين ما شاء من حجة بالغة وبرهان مستبين، وبهذه السمة و بذلك الشمول أحيا الغزالي علوم الدين، أحياها في الحياة المضطربة الجادة العاملة، و الماجنة الهازلة، وأحياها في نفوس الزهاد ورجال الطريق، ووصل بينهما وبين حكمة العقل و المنطق التي تفضى إلى الصحيح من النتائج، وتلزم الشاك المتردد بالإذعان و التسليم و صدق الاعتقاد.[2]

وكل من ينظر في كتاب " الإحياء " الذي يعد المرجع الأساسي للأخلاق و يلاحظ هذه الظاهرة: فقد بدأ الغزالي في هذا الكتاب ببيان أركان الإسلام فأوضح علاقة الشريعة بالمجتمع وأطنب في التأكيد على أن الشريعة هي القاعدة الأساسية للأخلاق، أما في الجزأين الثالث و الرابع من هذا الكتاب فقد تكلم عن الطرق التي تسمح للنفس بالعروج نحو الكمال الروحي إذ ما نجحت في قهر شهواتها وتغلبت على أهوائها.

3/ كتاب مناهج العابدين504،505هـ

1/3_منهج الغزالي و أسلوبه في هذا الكتاب:

يقر الغزالي أن المنهج الذي اتبعه في هذا الكتاب كان بإلهام من الله تعالى، وهو ترتيب فريد لم يذكره في غير هذا الكتاب. يقول:<< ...وألهمني فيه ترتيبا عجيبا لم أذكره في المصنفات التي تقدمت>>

ثم يبين الغزالي هذا الترتيب الذي ألهمه إياه مولاه في طريق العبادة، فرأى أن فيها سبع عقبات هي: عقبة العلم، عقبة التوبة، عقبة العوائق، عقبة العوارض، عقبة البواعث، عقبة القوادح، عقبة الحمد والشكر وبتمامها يتم كتاب مناهج العبدين إلى الجنة.

[1] بدوي طبانة ، إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، ج1 ، مكتبة و مطبعة كرياطة فوترا سماراغ ، ص 30.

[2] بدوي طبانة ، إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، ج1 ، مكتبة و مطبعة كرياطة فوترا سماراغ ، ص 31.

بعد ذلك يتتبع الغزالي هذه العقبات بشرح يقتصر على نكت وجيزة اللفظ، غزيرة المعنى، تقنع من تأملها و تدعه على واضحة من الطريق أن شاء الله.[1]

2/3_ افتتاحية الكتاب:

قال الشيخ الفقيه الصالح الزاهد، عبد الملك بن عبد الله...اعلموا إخواني أسعدكم الله وإيانا بمرضاته، أن العبادة ثمرة العلم وفائدة العمر، وحاصل العبد، وبضاعة الأولياء، وطريق الأقوياء، وقسمة الأعزة، ومقصد ذوي الهمة، وشعار الكرام، وحرفة الرجال، واختيار أولي الأبصار، وهي سبيل السعادة ومنهاج الجنة، قال الله تبارك و تعالى:<< وأنا ربكم فاعبدون>> "الأنبياء"92 وقال تعالى: << إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا>> "الإنسان 22" ثم إنا نظرنا فيها، وتأملنا طريقها من

مباديها إلى مقاصدها التي هي أماني سالكيها، فإذا هي طريق وعر، وسبيل صعب، كبيرة العقبات، شديدة المشقات، بعيدة المسافات، عظيمة الآفات، كثيرة العوائق و الموانع، خفية المهالك و المقاطع، غزيرة الأعداء والقطاع، عزيزة الأشياع و الأتباع، وهكذا يجب أن تكون، لأنها طريق الجنة، فيصير هذا تصديقا لما قاله رسول الله صلى الله عليه و سلم:<< إن الجنة حفت بالمكاره، وغن النار حفت بالشهوات>>[2]

3/ 3_ تاريخ تأليفه و موقعه من كتبه: عاد الغزالي إلى وطنه عام خمسمائة للهجرة، وعاد إلى ما كان عليه من رغبة في كيفية قضاء أيامه الأخيرة...في هذه المرحلة من عمر أبي حامد صنف كتابه مناهج العابدين وأرجع أن الغزالي صنفه في آخر هذه المرحلة أي ما بين عامي 504هـ و505هـ وذلك للأسباب التالية:

وجود إشارة واضحة صريحة في افتتاحية الكتاب أنه أملاه على تلميذه عبد الملك بن عبد الله، وأنه آخر كتاب صنفه، ولم يستّمل منه إلا خواص أصحابه.

---

[1] أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، مناهج العابدين إلى جنة رب العالمين ، تحقيق مصطفى حلاومي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1 ، 1409هـ،1989م، ص 25.

[2] أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، مناهج العابدين إلى جنة رب العالمين ، تحقيق مصطفى حلاومي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1409هـ،1989م ص، ص 47-78.

أن الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب هي معظمها أحاديث صحيحة وحسنة، فقد خلا الكتاب من تلك الأحاديث الموضوعة أو الباطلة أو الواهية...هذا ما يفسر رجوعه إلى كتب الحديث في أيامه الأخيرة للنظر فيها، ولحفظ الأحاديث الصحاح وخصوصا البخاري[1]

3/ 4_ مضمون الكتاب و أهميته:

أراد الغزالي من هذا الكتاب شرح كيفية سلوك طريق الآخرة وذلك بالعبادة التي هي ثمرة العلم وطريق الأتقياء ومنهاج الجنة حتى ينتفع به المبتدىء و المنتهي و القوي و الضعيف، فهو للعامة وليس للخاصة كما هو كتاب القربة إلى الله تعالى أو كتاب أسرار معاملات الدين، الذي لا ينتفع به إلا فحول العلماء الراسخون في العلم.[2]

لذا يقول الغزالي:<< فاقتصرت في هذا الكتاب الشريف على نكت وجيزة اللفظ، غزيرة المعنى، تقنع من تأملها، وتدعه على واضحة من الطريق، إن شاء الله تعالى>>.[3]

أراد الغزالي من هذا الكتاب أن يكون كلامه واضحا سهلا أحد ولا يستعصي أحد يقع عليه الإجماع ولا يعترض عليه أحد.

3/ 5_ من أقوال الغزالي في "مناهج العابدين":

[الهداية إلى طريق السعادة] قول الغزالي في هذا الصدد :

_<<إن أول ما ينتبه العبد للعبادة ويتحرك لسلوك طريقها بخطرة سماوية، وتوفيق خاص إلهي، وهو المعنى بقوله سبحانه وتعالى:" أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه" "الزمر23" وإليه أشار صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فقال: "إن النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح فقيل: يا رسول الله هل لذلك علامة يعرف بها؟ فقال: نعم التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت"[4]

---

[1] المصدر نفسه ، ص، ص 21-22.

[2] أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، مناهج العابدين إلى جنة العالمين ، تحقيق مصطفى حلاوني، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1 ، 1409هـ،1989م ، ص، ص 23-24.

[3] المصدر نفسه ، ص 24.

[4] المصدر نفسه ، ص 51.

يرى الغزالي أن سلوك طريق العبادة توفيق من الله تعالى وهداية يبعثها في القلب تشرحه للطاعات وتثقله عن المعاصي كما جاء في القرآن الكريم و في أحاديث النبي صلى الله عليه و سلم فيتجافى عن الدنيا ويعمل للآخرة.

قوله في: [عقبات طريق السعادة] :

<< فهذه أول عقبة استقبلته في طريق العبادة، وهي عقبة العلم و المعرفة، ليكون من الأمر على بصيرة، فيأخذ في قطعا من غير بد، بحسن النظر في الدلائل، و وفور التأمل و التعلم، والسؤال من علماء الآخرة الذين هم أدلاء الطريق، واستهداء الدعاء الصالح منهم، للتوفيق و الإعانة إلى أن يقطعها بتوفيق الله سبحانه، فيحصل له العلم و اليقين بالغيب، وهو أن له إلها واحدا لا شريك له، هو الذي خلقه وأنعم عليه بكل هذه النعم، وأنه كلفه بشكره، وأمره بخدمته و طاعته، بظاهره و باطنه، وحذره الكفر وضروب المعاصي، وحكم له بالثواب الخالد إن أطاعه، وبالعقاب الخالد إن عصاه وتولى عنه، فعند ذلك تبعثه هذه المعرفة و اليقين بالغيب على التشمير للخدمة، والإقبال على العبادة لهذا السيد المنعم >>[1]

طريق العبادة محفوف بعقبات كثيرة حسب الغزالي و من بينها عقبة العلم إذ أنه من أجل سلك هذه الطريق العمل بالفرائض التي سنها الله تعالى بمعرفتها وأخذها عن أصحاب العلم والاستهداء بالدعاء والتوفيق الإلهي لحصول عبادة خالصة صحيحة لله وشكره على النعم ونيل الأجر و الثواب.

قول الغزالي :[في الإخلاص لله بالطاعة]:

<< وجملة الأمر أنك إذا أحسنت النظر، فرأيت قدر طاعة الله تعالى ورأيت عجز الخلق وضعفهم وجهلهم، فلا تلتفت إليهم بقلبك، وكن زاهدا في ثنائهم ومدحهم و تعظيمهم، الذي لا فائدة تحته، فلا ترد بطاعتك شيئا من ذلك، وإذا رأيت خسة الدنيا و حقارتها وسرعة زوالها فلا تردها أيضا بطاعتك، وتقول: يا نفس أثناء رب العالمين وشكره و إعزازه خير أم ثناء المخلوقين العاجزين الجاهلين، الذين لا يعرفون قدر عملك بالحقيقة وما تحملت فيه وما يبلغون حقك فيما عملت وتحملت >> [2]

[1] أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، مناهج العابدين إلى جنة العالمين ، تحقيق مصطفى حلاوني، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1409هـ،1989م ، ص 52.

[2] المصدر نفسه ، ص 313.

يقدم الغزالي النصيحة للعابد بالإخلاص في طاعته لله عز وجل و ترك الرياء و عدم انتظار مدح الناس وثنائهم لأنه لا فائدة منهم فجهدك في فعل الطاعات لا يعلمه إلا الله و هو فقط من يجزيك ذلك.

قوله في رعاية الأعضاء الأربعة (العين و اللسان و البطن و القلب):

<< أما القلب فحسبك أنه أصل الكل، إن أفسدته فسد الكل، وإن أصلحته صلح الكل، إذ هو الشجرة، وسائر الأعضاء أغصان، ومن الشجرة تشرب الأغصان وتصلح و تفسد، وإنه الملك، وسائر الأعضاء تبع و أركان، وإذا صلح الملك صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت، فإذن صلاح العين و اللسان و البطن دليل على صلاح القلب و عمرانه، وإذا رأيت فيه خللا و فسادا، فاعلم أن ذلك خلل في القلب وقع ثم، بل الفساد فيه أكثر، فاصرف عنايتك عليه فأصلحه يصلح كل بمرة وتستريح >>.[1]

يعتبر القلب الكل وباقي الأعضاء أجزاء تابعة للكل والقلب أساس صلاح أو فساد باقي الأعضاء كالعين و اللسان و البطن و غيرها و قد شبهه بالشجرة و باقي الأعضاء بالأغصان و بالملك وباقي الأعضاء بالتبع و الأركان فإذا صلح أو فسد الأول صلح أو فسد الثاني و إذا وقع في القلب الفساد فعلى العبد بالعمل على إصلاحه من أجل وقوع الراحة و الطمأنينة.

قوله الغزالي في السبل المؤدية إلى الزهد " ترك مخالطة الناس":

<< علمت أن الخلق لا وفاء لهمّ، وأن مؤنتهم أكثر من معونتهم، فيما يعينك، وتركت مخالطتهم إلا فيما لابد لك منه، تنتفع بخيرهم وتجتنب ضرهم، وتجعل صحبتك لمن لا تخسر في صحبته، ولا تندم على خدمته، وأنسك بكتابه وملازمتك إياه، فيكون لك بكل حالّ، وترى منه كل جميل و إفضال، وتجده عن كل نائبة في الدنيا و الآخرة، كما قال عليه الصلاة و السلام" احفظ الله تجده حيث اتجهت " >>[2]

من بين الأمور التي يلزم على الإنسان فعلها من أجل بلوغ منزلة الزهد ترك مخالطة الناس وعدم الانشغال بهم إلا في للضرورة وعليه مرافقة الصلحين منهم للوقوف معك عند شدائد الدنيا والآخرة واجتناب ضرر غيرهم.

---

[1] أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، مناهج العابدين إلى جنة رب العالمين ،مصطفى حلاوني، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1409هـ، 1989م ، ص 178.

[2] المصدر نفسه، ص 293.

3 المصدر نفسه، ص 80.

قول الغزالي في [العقبة الثانية و هي عقبة التوبة]:

<< فإن تبت ثم نقضت التوبة وعدت إلى الذنب ثانيا فعد إلى التوبة مبادرا و قل لنفسك لعلي أموت قبل أن أعود إلى الذنب هذه المرة و كذلك ثالثا ورابعا و كما اتخذت الذنب و العود إليه حرفة فاتخذ التوبة أيضا و العود إليها حرفة ولا تكن في التوبة أعجز منك في الذنب ولا تيأس و لا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فإنه دلالة الخير أما تسمع قوله صلى الله عليه و سلم:<< خياركم كل متفتن تواب >> أي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع إلى الله جل جلاله بالندامة >>3

ينصح الغزالي صاحب الذنب بالإصرار على التوبة كإصراره على الذنب وتقديم الفرصة للنفس مرة ومرتين و ثلاث و عدم اليأس و التغلب على الشيطان و منعه له من التوبة و الطمع في نيل مغفرة الله كما في قوله تعالى: << خير الخطائين التوابون >>[1] و قد ذكرت مغفرة الله تعالى في عدة مواضع في القرآن الكريم و أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم و التي تدعوا الإنسان و ترغبه في التوبة وتحثه عليها حيث أن الله تعالى غفار تواب يدعوا عباده ليتوب عليهم و يرضى عنهم.

قول الغزالي في العقبة السابعة و هي عقبة الحمد و الشكر:

<<... وأما حصول الزيادة فلما كان الشكر هو قيد النعمة فهو يثمر الزيادة و قال سبحانه:<< لأن شكرتم لأزيدنكم و الذين اهتدوا زادهم مها و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا >> فالسيد الحكيم إذا رأى العبد قد قام بحق نعمة يمن عليه أخرى ويراه أهلا لها وإلا فيقطع ذلك عنه، ثم النعم قسمان دنيوية ودينية فلدنيوية ضربان نعمة نفع و نعمة دفع فنعمة النفع أن أعطاك المصالح و المنافع فالمنافع ضربا الخيفة السوية في سلامتها وعافيتها و الملاذ الشهية من المطعم والمشرب و الملبس و المنكح وغيرها من فوائدها ونعمة الدفع أن صرف عنك المفاسد و المضار و هي ضربان بأن أحدهما في النفس بأن سلمك زمانتها و آفاتها وعللها و الثاني دفع ما يلحقك به الضر من أنواع العوائق أو يقصدك به بشر من إنس أو جن وسباع أو هوام أو نحوها، وأم النعمة الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة فنعمة التوفيق أن وفقك الله أولا للإسلام ثم للسنة ثم للطاعة أما العصمة أن عصمك أولا عن الكفر

[1] حديث شريف.

والشرك ثم عن البدعة و الضلالة ثم عن سائر المعاصي وتفصيل ذلك لا يحصيه إلا السيد العالم الذي أنعم عليك >> [1]

يقول الغزالي أنه بعد إجتياز مرحلة العقبات ونيل المراد و الذي هو عبادة سليمة لله عز وجل وجب على العبد شكر الله وحمده على إعانته له بتخطي تلك الصعوبات و التغلب على أهواء النفس والشيطان، كما أنه بشكره لله ينال المزيد بتقييد النعم ودوامها و الزيادة فيها من نعم دنيوية دافعة للمضار والمفاسد و نافعة من عافية و ملاذ شهية و دينية كنعمة التوفيق من الله عز وجل و نعمة العصمة من سائر المعاصي، فنعم الله لا تعد و لا تحصى لقوله تعالى:<< وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها>>.[2]

قول الغزالي: [العلم شجرة و العبادة ثمرة]

<< ولما استقر أنه لا بد للعبد منهما جميعا، فالعلم أولى بالتقديم لا محالة، لأنه الأصل و الدليل / ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: << العلم إمام العمل و العمل تابعه>>

وإنما صار العلم أصلا متبوعا يلزمك تقديمه على العبادة لأمرين: أحدهما: لتحصل لك العبادة وتسلم، فإنك أولا يجب عليك أن تعرف المعبود ثم تعبده، وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه و صفات ذاته، وما يجب له و ما يستحيل في نعته، فربما تعتقد فيه و في صفاته شيئا و العياذ بالله تعالى مما يخالف الحق، فتكون عبادتك هباء منثورا>>[3]

في نظر الغزالي أن للعلم أهمية بالغة و له الأولوية على العبادة حيث لا تحصل عبادة صادقة سليمة إذ أنه يعتبر العلم بمثابة الشجرة ة العبادة بمثابة الثمرة، ولابد للعبد أن يكون له من كلاهما نصيب .

---

[1] أبي حامد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، محمد بن إسماعيل حزين، مناهج العابدين ، مطبعة الحلبي و أولاده ، بمصر ، 1336هـ، ص 84.

[2] القرآن الكريم ، سورة النحل ، الآية 18 .

[3] أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، مناهج العابدين إلى جنة العالمين ، تحقيق مصطفى حلاوني، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1409هـ ،1989م ، ص، ص 60-61.

4/ المبحث الثاني في التصوف

4 1_ المنقذ من الضلال في التصوف499،305هـ

<<... فهذا كتاب (المنقذ من الضلال) للإمام ابي حامد الغزالي، وهو كتاب صغير في حجمه، عظيم في مادته، جمع فيه مؤلفه رحمه الله عصارة تجربته الفكرية، وتجواله في ذلك العالم المديد الفسيح، وارتفاعه من احترام المحسوس و المعقول إلى الشك فيهما، ثم نقده لعلم الكلام و الفلسفة على السواء وإقباله أخيرا إلى طريق المتصوفة واطمئنانه إلى طريقهم وأنه من أصوب الطرق للتقرب إلى الله، وبأنه المنهج الأفضل في تلقي المعرفة اليقينية >>[1]

ففي "المنقذ من الضلال" يكتب الغزالي سيرته الخاصة، يكتب سيرة روحه و عقله..وتجاربه، ففي كتاب المنقذ يكاد أن يقوم بتقديم اعترافاته...و كل ما جرى بينه و بين روحه و عقله و نفسه من حوار[2]

في ذلك الكتاب قام الغزالي بتصوير تمزقه الروحي و العقلي قبل أن يصل إلى الحقيقة الغزالي لم يزعم أبدا أنه اهتدى ساعة أن ولد...ولا لحظة أن تعلم القراءة ...ولا يوم أن تعلم الدرس..لقد اهتدى من خلال الدراسة و القراءة و التجربة أيضا...من خلال التفكير و التأمل...وهذا هوأعظم الإيمان.[3]

وصف الغزالي في كتاب "المنقذ من الضلال" ما قاساه من الاضطراب النفسي عند مقابلة الفرق بعضها ببعض، وما ارتضاه أخيرا طريقة التصوف، ثم ما صرفه عن نشر العلم ببغداد، ومعاودته له بنيسابور، كل ذلك بأسلوب مؤثر تغلب فيه اللهجة الخطابية على الحجاج العقلي، و البرهان المنطقي، وليس في "المنقذ من الضلال" مذهب فلسفي مستقل، ولا نظرية مجردة وإنما هو حكاية حال الغزالي نفسه، وذكر انحلال رابطة التقليد عنه، واستيلاء الشك عليه، فالمنقذ لا يحتوي إذن إلا على القليل من فلسفة الغزالي [4]

---

[1] محمود بيجو ، محمد سعيد رمضان البوطي، الشيخ عبد القادر الأرناؤوط المنقذ من الضلال ،دار التقوى و دار الفتح ، دمشق ، 1992 ، ص5.

[2] عز الدين اسماعيل،الشاعر صلاح عبد الصبور، الشاعر معين بسيسو، عبد المنعم شميس، فاروق خو رشيد، أحمد سعيد محمدية، كمال أحمد زكي ، نوابغ العرب أبو حامد الغزالي ، دار العودة ، بيروت ، 1986 ، ص 64.

[3] المصدر نفسه ، ص، ص 64-65.

[4] ابي حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة و الجلال ،جميل صليبا و كامل عياد ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان، ط7، 1967 ، ص، ص 23-24.

وضع الغزالي كتاب "المنقذ من الضلال" في أواخر أيامه بعد عزلة دامت عشر سنوات، سلك فيها طريقة الصوفية، وهو يشير فيه إلى كتبه الأخرى كالتهافت، والقسطاس المستقيم، والمستظهري، والمقاصد، وفيصل التفرقة، وغيرها وهذا يدل على أنه ألفله بعد هذه الكتب كلها، وبعد أن أناف العمر على خمسين، فهو إذن من إنتاج سن النضج ، وهذا ظاهر أيضا في اعتدال أسلوبه، ووضوح إشاراته، وائتلاف معانيه، وتخير ألفاظه.[1]

وقد عبر الغزالي– وهو في هذا يصدر عن فكر صوفي خالص – في كتابه " المنقذ من الضلال" عن الشكوك التي ساورته بشأن المعارف الحسية و العقلية، يقول الإمام <<...فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسات و الضروريات وأنظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها ؟ فانتهى بي طول التشكيك إلى أن تسمح نفسي بتسليم الأماني في المحسات أيضا وأخذ يتسع هذا اشك فيقول من أين الثقة بالحواس ؟ وأقواها حاسة البصر، وهي تنظر إلى الظل، فتراه واقفا غير متحرك، وتحكم بنفي الحركة، ثم بالتجربة و المشاهدة– بعد ساعة – تعرف أنه متحرك وأنه: لم يتحرك دفعة بغتة، بل على التدريج ذرة ذرة...هذا و أمثال من المحسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه، ويكذبه حاكم العقل ويخونه، تكذيبا لا سبيل إلى مدافعته، فقلت قد بطلت الثقة بالمحسات أيضا، فلعله لا ثقة بالعقليات ، التي هي من الأولويات، كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة ، و النفي و الإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد و الشيء الواحد لا يكون واحدا قديما، موجودا معدوما، واجبا محالا>>[2]

يرجع الغزالي مفتاح نجاته من الحيرة التي وقع فيها النور الذي قذفه الله تعالى في صدره و هذا ما وضحه في كتابه "المنقذ من الضلال" .

هذا الكشف و النور الإلهي هو من أهم النقاط التي وردت في كتاب " المنقذ من الضلال" ونجد آثاره في كل سطر من سطور الكتاب، وهو يمثل الضمانة الوحيدة عند الغزالي الموثوق بالبديهيات العقلية، هذه الضمانة الإلهية [3]

[1] المصدر نفسه ، ص24.

[2] عرفان عبد الحميد فتاح ، نشأة الفلسفة الصوفية و تطورها ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1413هـ، 1993م ، ص، ص 162-163.

[3] أحمد شمس الدين ، الغزالي ،أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، لدار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1409هـ،1988م، ص 15.

4/ 2_ مضمون كتاب (المنقذ من الضلال):

مدخل السفسطة وجحد العلوم،أصناف الطالبين ،علم الكلام ومقصوده و حاصل، الفلسفة، أصناف الفلاسفة وشمول و صمة الكفر كافتهم أقسام علومهم الرياضية ،المنطقيات، الطبيعيات، السياسيات ،الخلقية، مذهب التعليم وغائلته ،طرق الصوفية ،حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق إليها ،سبب نشر العلم بعد الإعراض عنه.[1]

4/ 3_ لماذا ألف الغزالي منقذه ؟

4/ 3_أ مقدمة "المنقذ":

<<أما بعد... فقد سألتني أيها الخ في الدين..." تلك هي العبارة التي ابتدأ بها الغزالي–يرحمه الله– اعترافاته في كتابه الخالد (المنقذ من الضلال) فماذا سأله أخوه في الدين ؟ "أن يثبت إليه غاية العلوم وأسرارها " ، "وغائلة المذاهب وأغوارها" ، "وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق، مع تبين المسالك و الطرق"، "وما استأجرت عليه من الإرتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاستبصار" ، "وما استفدته أولا من علم الكلام"، "وما احتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لذرك الحق على تقليد الإمام"،" وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف"،" وما ارتضيته أخيرا من طرق التصوف"،" وما انحل لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق من لباب الحق" ،"وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطالبة"،" وما دعاني الى معاودتي بنيسابور بعد طول هذه المدة>> بذلك بتضح لنا لماذا ألف الغزالي كتابه (المنقذ) ردا على ما سأله عنه إياه أخوه في الدين، فجاء المنقذ تبيانا وتفصيلا لكل ما أوردناه بنصه.[2]

لا نجد في كتاب "المنقذ من الضلال" مذهبا فلسفيا مستقلا، أو نظرية متكاملة مجردة، بل هو عبارة عن وصف لحالة المؤلف النفسية، والمعاناة التي كابدها حتى انتقل من مرحلة الشك إلى مرحلة اليقين الذي تمثل بالتصوف مذهبا وطريقة، ونفتقد في هذا الكتاب الى الحجاج العقلي والبراهين المنطقية التي تحفل بها كتبه الأخرى، وتغلب عليه اللهجة الخطابية، إلا في بعض المواضع عند مناقشته لآراء الفرق، ففلسفة

[1] محمود بيجو ، محمد سعيد رمضان البوطي، الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، المنقذ من الضلال ،دار التقوى و دار الفتح ، دمشق ، 1992، ص88.

[2] أبو بكر أبو بكر عبد الرزاق ، مع الغزالي في منقذه من الضلال ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، ط2 ، ص، ص 59–60.

الغزالي نجدها في "مقاصد الفلاسفة" و " تهافت الفلسفة " و "إحياء علوم الدين" وغيرها من مؤلفاته الأخرى، ولا نجد في المنقذ إلا القليل مما يعبر عن فلسفته و جدله.[1]

بعض أقوال الغزالي في " المنقذ من الضلال ":-

4/ 4_ بعض أقواله في "المنقذ من الضلال":

<< اعلموا- أحسن الله تعالى إرشادكم، وألان للحق قيادكم- أن اختلاف الخلق في الأديان و الملل، ثم اختلاف الأئمة في المذاهب على كثرة الفرق و تباين الطرق، بحر عميق غرق فيه الأكثرون، ونجا منه الأقلون، وكل فريق يزعم أنه الناجي، و "" كل حزب بما لديه فرحون "" الروم32 هو الذي وعدنا به سيد المرسلين، صلوات الله عليه، وهو الصادق الصدوق حيث قال << ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة>> فقد كان ما وعد أن يكون.>>[2]

يرى الغزالي أن كثرة الفرق و اختلاف المذاهب يؤدي إلى الحيرة و صعوبة اختيار أيها الأصوب كما جاء في القرآن الكريم و ما أكده حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- ولهذا كان تعدد الطرق بحر عميق لا ينجوا منه إلا قلة قليلة من الناس.

4/ 4_أ: **قوله في: سبب نشر العلم بعد الإعراض عنه:**

<<... فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب و المشاهدات، فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة والخروج من الزاوية، إنضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير و رشد، قدرها الله سبحانه على رأس هذه المائة، وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس كل مئة ، فاستحكم الرجاء، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات، ويسر الله تعالى الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة>>[3]

---

[1] أحمد شمس الدين ، الإمام الغزالي، لدار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1409هـ،1988م، ص 12.

[2] أحمد شمس الدين ، الغزالي ،أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، لدار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1409هـ،1988م نفسه ، ص 24.

[3] محمد بن محمد بن محمد الغزالي، مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1409هـ،1988م، ص، ص 75-76.

يسرد الغزالي حكاية عودته إلى التعليم بعد التخلي عنه واتخاذه العزلة و الخلوة حياة اختارها له بعد أن كان يدرس في المدرسة النظامية بأن عودته جاءت جراء شورى تلقاها من أرباب القلوب والمشاهدات أشارت له بالخروج عن عزلته إضافة إلى منامات من الصالحين فهذا كله بمثابة رسالة خير له من الله تعالى الذي يخرج على رأس كل مائة عالما يعمل على إحياء دينه فظن الغزالي ظننا حسنا أنه المقصود فتيسرت حركته إلى نيسابور.

<< وأما الآن فادعوا إلى العلم الذي به يترك الجاه، ويعرف به رتبة سقوط الجاه، هذا هو الآن نيتي وقصدي وأمنيتي، يعلم الله ذلك مني، وأنا أبغي أن أصلح نفسي و غيري، ولست أدري أأصل إلى مرادي، أم أخترم دون غرضي؟ ولكني أومن إيمان يقين ومشاهدة أن" لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم" وأني لم أتحرك لكنه حركني، وأني لم أعمل لكنه استعملني >>[1]

صرح وقال أنه كان ينشر العلم في ذلك الزمان من أجل كسب الجاه، أما رجعته الأخيرة مقصودها نشر العلم الذي به يترك الجاه، إصلاح نفسه وغيره و التغلب على عقبات الدنيا من الشهوات و الهوى، وطلب من الله تعالى أن يهديه و يهدي به فهذا مبتغاه و رجاؤه.

4/ 4_ ب: قوله في :

أقسام علوم الفلاسفة:

<< اعلم أن علومهم–بالنسبة إلى الغرض الذي نطلبه– ستة أقسام رياضية، ومنطقية، و طبيعية وإلهية، وسياسية و خلقية.

أما الرياضية: فتتعلق بعلم الحساب و الهندسة و علم هيئة العالم، وليس يتعلق منه شيء بالأمور الدينية نفيا و إثباتا، بل هي أمور برهانية ، لا سبيل إلى مجاحدتها بعد فهمها و معرفتها. وقد تولدت منه آفتان: الأولى من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة، فيحسب أن جميع علومهم في الوضوح وفي وثاقة البرهان كهذا العلم، ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم و تهاونهم بالشرع ما تناولته الألسنة فيكفر بالتقليد المحض >>[2]

[1] أبو بكر أبو بكر عبد الرزاق ، مع الغزالي في منقذه من الضلال، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة، ط2 ، ص 71.

[2] أبي حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال ، حققه و قدم له محمود بيجو، راجعه: الدكتور محمد سعيد البوطي و الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار التقوى، دمشق، دار الفتح ، الأردن، 1992 ، ص46.

قسم الغزالي علوم الفلاسفة إلى ستة أقسام من بينها العلوم الرياضية وهي التي تدرس علم الحساب و الهندسة وعلم هيئة العالم، و هي بعيدة كل البعد عن العلوم الدينية و لا تمد لها بصلة فالعلوم الرياضية تقوم على البرهان حيث لا نقاش في نتائجها وذلك بعد التعرف عليها، ومن هنا يحصل لمن يخوض فيها و يلتمس دقة براهينها فإن ذلك يدفعه بالضرورة إلى الثقة في الفلاسفة و في معتقداتهم جميعا ظانا منه أن هذه الدقة و الوضوح في تلك البراهين تنطبق على ما جاءوا به عامة، فإنه و إن سمع الانتقادات الموجهة لهم في علومهم الأخرى امتنع عن تصديقها.

:4/ 4_ج: قوله في اتصاف كافتهم بالكفر

اعلم أنهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم، ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

لنشرح القسم الثاني:

<< **الصنف الثاني الطبيعيون:** وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات، وأكثروا الخوض في تشريح أعضاء الحيوان فرأو فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ما اضطروا معه إلى الاعتراف بقادر حكيم، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها...فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود، فجحدوا الآخرة، وأنكروا الجنة و النار، و الحشر و النشر، و القيامة و الحساب، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب، ولا للمعصية عقاب، فانحل عنهم اللجام، وانهمكوا في الشهوات انهماك الأنعام.

وهؤلاء أيضا زنادقة، لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله و اليوم الآخر، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر، وإن آمنوا بالله و صفاته>>[1]

عرف الفلاسفة الطبيعيون أنهم من خاضوا في العالم الطبيعي وبحثوا فيه من إنسان و حيوان و نبات فوقع لهم من تأملهم في هذا العالم، تصديقهم بوجود الخالق عز وجل وأدركوا ذلك في صنعته و عجائب حكمته، غير أنه كان لهم معتقد آخر هو أن النفس لا تعود بعد الموت فأنكرا الآخرة والجنة و النار والقيامة و الحساب و بهذا أنكروا الثواب و العقاب و اطلقوا العنان لشهوات النفس و ارتكاب المعاصي فكفرهم الغزالي .

[1] أبي حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال ، حققه و قدم له محمود بيجو، راجعه:الدكتور محمد سعيد البوطي و الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار التقوى ،دمشق ، دار الفتح ، الأردن، 1992 ، ص، ص 43-44.

4/ 4_ د: قوله في :

حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق إليها:

<< فإن وقع لك الشك في شخص معين أنه نبي أم لا فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله، إما بالمشاهدة أو بالتواتر و التسامع، فإنك إن عرفت الطب و الفقه يمكنك أن تعرف الأطباء و الفقهاء بمشاهدة أحوالهم و سماع أقوالهم وإن لم تشاهدهم، و لا تعجز أيضا عن معرفة كون الشافعي رحمه الله فقيها، وكون جالينوس طبيبا، معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير، بل بأن تتعلم شيئا من الفقه و الطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما، فيحصل لك علم ضروري بحالهما>>[1]

من أجل تصديق الأنبياء وفهم معنى النبوة ينبغي التحقيق في أحوالهم عن كثب عن طريق المشاهدة و السمع منهم لا بالتقليد، و يضرب الغزالي مثالا أنه من أجل معرفة أن الإمام الشافعي فقيها و جالينوس طبيبا و جب التزود بالفقه و الطب ليحصل العلم الضروري بحالهما أهما على صواب أم خداع، فكذلك الحال مع فهم معنى النبوة.

4/ 4_ هـ: قول الغزالي في مذهب التعليم و غائلته:

<< فرد الخلق على الاجتهاد–ضرورة– الأنبياء و الأئمة مع العلم بأنهم قد يخطئون بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <<أنا أحكم بالظاهر و الله يتولى السرائر>>أي أنا أحكم بغالب الظن الحاصل من قول الشهود وربما أخطئ فيه، ولا سبيل إلى الأمن من الخطأ للأنبياء في مثل هذه المجتهدات فكيف نطمع في ذلك؟ >>[2]

كما للأنبياء و الأئمة الإصابة في الاجتهاد، لهم أيضا السهو فهم غير معصومين من الخطأ، و ضرب الغزالي مثالا لهذا الرأي برسول الله صلى الله عليه و سلم و قوله أن إصدار أحكامه ظنية في الغالب وهناك احتمال لوقوع الخطأ و الله تعالى يسدد خطاه في ذلك، فهذا عن رسوا الله صلى الله عليه و سلم فكيف لغيره من الخلق.

---

[1] محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، مجموعة رسائل الإمام الغزالي، أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1409هـ،1988م ، ص 68.

[2] المصدر نفسه ، ص 51.

الخـــــاتمـــة

خاتمة:

وفي النهاية لا أملك إلا أن أقول أنني وبعد هذا الجهد المتواضع، أكون قد عرضت العناصر السابقة الذكر عرضا مختصرا، لأن هذا الموضوع مهما تحدثت فيه و تعمقت ما طوقته، وما تمكنت من إعطائه حقه، لأن هذه الشخصية " أبي حامد الغزالي " من بين الشخصيات ذات الصيت و الشهرة من حيث تجربته الروحية، و إنتاجه العلمي قبل و بعد تلك التجربة.

كانت قوة الغزالي التي خلدته كحجة الإسلام أنه استطاع أن يكون ترسانة فكرية تقف في وجه التيارات المتدفقة من المحاورات الفلسفية، والمناظرات الجدلية، والمنازعات الفقهية، وأن جعل القوة الإسلامية مناهضة لتلك الزوبعة، حيث واجهها بتعاليمها المستندة من الكتاب والسنة، فجاهد و سعى الغزالي لتكوين تلك الترسانة الفكرية التي حافظت على عقيدة الأمة.

وبعد عرضي الموجز لحياة الغزالي و المراحل التي مر بها، والتي كان لها يد في تغير توجهه الفكري، وإنتاجه العلمي، حيث اختلفت و جهات نظره في عدة مواضع، من الفترة الأولى في حياته، والفترة المتأخرة منها، فالفترة الأولى اشتغل بعلم الكلام و الفلسفة و المنطق و غيرها، أما الفترة الأخيرة من حياته فاشتغل بعلم التصوف و الأخلاق.

يجدر بي الإشارة إلى أن أبي حامد الغزالي كان له إنتاج معرفي ضخم من حيث القيمة العلمية ومن حيث العدد، حيث كان للتجربة الروحية التي عاشها مدى في اختلاف ذلك الإنتاج المعرفي من جهة المجالات العلمية، فبداية غاص في علم الفلسفة و علم الكلام و الفقه و الرد على الباطنية، وألف فيها العديد من الكتب التي كانت ذات قيمة كبيرة بين العلماء، أما في الفترة التي تلت الخلوة التي انغمس فيها مدة غيرت مجرى حياته، انتهت به إلى اتخاذ التصوف سلوكا لحياته، فانصرف إلى العلوم الأخلاقية، و وتزكية النفس، كما ألف أضخم أعماله التي كانت و لازالت من أروع ما هو موجود في المكتبات في العالم الإسلامي.

وهكذا لكل بداية نهاية، و خير الكلام ما قل و دل، فأتمنى أن أكون موفقة في طرح هذا الموضوع بالشكل الذي يليق به، و التعبير عنه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر و المراجع:

أ. قائمة المصادر:

1. أبي حامد الغزالي – تهافت الفلاسفة _ قرأه و علق عليه محمود بيجو _ دمشق _ 1994،1415.
2. أبي حامد الغزالي _ المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة و الجلال –حققه و قدم له د.جميل صليبا و د. كامل عياد – دار الأندلس – بيروت – لبنان– ط7 – 1967.
3. أبي حامد الغزالي_ مقاصد الفلاسفة _حققه وقدم له محمود بيجو–مطبعة الصباح–دمشق–ط1 – 1420–2000.
4. أبي حامد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي – محمد بن إسماعيل حزين– مناهج العابدين – مطبعة الحلبي و أولاده – بمصر – 1336هـ.
5. أبي حامد محمد الغزالي– روضة الطالبين وعمدة السالكين – صححها الشيخ محمد بخيت – دار النهضة الحديثة – بيروت – لبنان.
6. أبي حامد محمد بن محمد الغزالي– مناهج العابدين إلى جنة رب العالمين – تحقيق مصطفى حلاومي– مؤسسة الرسالة – بيروت– ط1 – 1409هـ،1989م.
7. إحياء علوم الدين الغزالي– بدوي طبانة – مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا سماراغ –ج1.
8. بدوي طبانة – إحياء علوم الدين للإمام الغزالي– ج1 – مكتبة و مطبعة كرياتا فوترا سماراغ.
9. خواجة زادة– تهافت الفلاسفة– المطبعة الإعلامية – بمصر– ط 1 – 1303.
10. سليمان دنيا– معيار العلم للغزالي–دار المعارف بمصر– 1961.
11. سليمان دنيا– مقدمة تهافت الفلاسفة المسماة مقاصد الفلاسفة للإمام الغزالي– دار المعارف – بمصر – 1961.
12. عبد الدايم أبو العطا البقري الأنصاري– اعترافات الغزالي أوكيف أرخ لنفسه – دار النهضة العربية – القاهرة.
13. عبد الرحمن بدوي – فضائح الباطنية أبو حامد الغزالي– الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – 1383هـ،1964.
14. الغزالي – قواعد العقائد في التوحيد– دار الحديث – القاهرة– ط2

15. الغزالي – إحياء علوم الدين – تقريب التراث – إعداد و دراسة إصلاح عبد السلام الرفاعي– إشراف و مراجعة عبد الصبور شاهين–مركز الأهرام – القاهرة – ط1 –1408 ، 1988.

16. الغزالي– مقدمة تهافت الفلاسفة المسماة مقاصد الفلاسفة – ت. سليمان دنيا – دار المعارف – مصر – 1961.

17. محمد ابي حامد الغزالي – الاقتصاد في الاعتقاد– شرح إبراهيم محمد إبراهيم حريبة – ط1– ص 1983،1404.

18. محمد الحافظ عبد اللطيف سالم التجاني – بتخريجي الحافظ زين الدين العراقي و السيد المرتضى الزبيدي – إحياء علوم الدين –الغزالي – و في الهامش نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين – المطبعة النموذجية – 1859، 1982.

19. محمد بن محمد أبي حامد الغزالي –مختصر إحياء علوم الدين– مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان –ط1 – 1410هـ،1990م.

20. محمد بن محمد بن محمد الغزالي– مجموعة رسائل الإمام الغزالي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1409هـ،1988م.

21. محمد عابد الجابري –تهافت التهافت– مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان– ط1 – 1998.

22. محمد علي القطب – فضائح الباطنية أبي حامد الغزالي– المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – 1422هـ،2001.

23. محمود بيجو _ محمد سعيد رمضان البوطي، عبد القادر الأرناؤوط– المنقذ من الضلال _دار التقوى و دار الفتح _ دمشق _ 1992.

ب. قائمة المراجع:

1. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني– دراسات الفلسفة الإسلامية– دار الحمامي للطباعة –القاهرة –ط1 – 1957.

2. أبو بكر أبو بكر عبد الرزاق – مع الغزالي في منقذه من الضلال _ الدار القومية للطباعة _ القاهرة _ ط2

24. أبو حامد الغزالي – نوابغ العرب –دار العودة–بيروت –1986.
3. أحمد شمس الدين – الغزالي –أبي حامد محمد بن محمد الغزالي– لدار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– ط1 – 1409هـ،1988م.
4. أحمد فؤاد الاهواني– قضايا إسلامية ، الفلسفة الإسلامية –مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب –1985.
5. التصوف بين الغزالي و ابن تيمية –عبد الفتاح محمد سيد أحمد– دار الوفاء– ط1 – 1420هـ،2000م.
6. زكي مبارك – الأخلاق عند الغزالي– دار الجيل – بيروت– ط1 – 1408هـ،1988م.
7. سليمان دنيا– الحقيقة في نظر الغزالي – دار المعارف – بمصر – 1965.
8. صالح احمد الشامي– الغزالي –دار القلم –دمشق –بيروت–ط1 .
9. عامر النجار – نظرات في فكر الغزالي– شركة الصفا.
10. عامر النجار– نظرات في فكر الغزالي – شركة الصفا.
11. عباس محمد حسن سليمان – الصلة بين علم الكلام و الفلسفة في الفكر الاسلامي– دار المعرفة الجامعية – بيروت– 1998.
12. عبد الرحمن بدوي – مؤلفات الغزالي–وكالة المطبوعات–الكويت –ط2 –1977.
13. عبد الكريم العثمان –قدم له احمد فؤاد الأهواني – سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين –دار الفكر –دمشق.
14. عرفان عبد الحميد فتاح – نشأة الفلسفة الصوفية و تطورها – دار الجيل – بيروت – ط1 – 1413هـ– 1993م.
15. عز الدين اسماعيل،الشاعر صلاح عبد الصبور، الشاعر معين بسيسو، عبد المنعم شميس، فاروق خو رشيد، أحمد سعيد محمدية، الدكتور كمال أحمد زكي – نوابغ العرب أبو حامد الغزالي – دار العودة – بيروت – 1986.
16. علي أبو ملحم – الفلسفة العربية مشكلات و حلول– عز الدين للطباعة و النشر – لبنان– بيروت – ط 1 – 1414هـ،1994.
17. علي أبو ملحم الفلسفة العربية مشكلات و حلول – عز الدين للطباعة والنشر–بيروت لبنان – 1414هـ،1994.

18. علي معوض و عادل عبد الموجود _ الوجيز في فقه الإمام الشافعي للعلامة الفقيه الحجة أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي _ ج 1 _ دار الأرقم _ بيروت _ لبنان _ ط1_ 1418هـ،1997م.

19. فتح الله خليف –فلاسفة الإسلام – دار الجامعات المصرية.

20. محمد عقيل بن علي المهدلى– مدخل إلى دراسة مؤلفات الغزالي– دار الحديث – القاهرة.

21. محمد علي أبو ريان– تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام– دار النهضة العربية – الإسكندرية – 1973.

22. محي الدين عزوز– اللامعقول وفلسفة الغزالي – الدار العربية للكتاب – تونس – 1983.

23. مصطفى الغالب – الغزالي –دار و مكتبة الهلال–بيروت لبنان–1995 –ص ص39، 40.

24. مصطفى حلمي – الإسلام و المذاهب الفلسفية– مصر.

25. هنري كوربان– ت.نصير مروة ، حسين قبيسي – ر،ق.الإمام موسى الصدر،الأمير عارف تامر – تاريخ الفلسفة الإسلامية – عويدات للنشر و الطباعة – بيروت – لبنان– ط2 – 1998.

26. يوحنا الفاخوري و خليل الجر– تاريخ الفلسفة الإسلامية–– ج2– دار الجيل بيروت– ط3– 1993.

27. يوسف القرضاوي – الغزالي يبن مادحيه و ناقديه– مؤسسة الرسالة – بيروت– ط4 – 1414هـ– 1994م.

28. يوسف فرحات – الفلسفة الإسلامية و أعلامها– الشركة الشرقية للمطبوعات – ط1 –1986م.

ج. الرسائل و المذكرات:

1. موسى بن محمد بن هجاد الزهراني – موقف الغزالي من الفلاسفة – شهادة ماجستير بقسم الفلسفة الإسلامية – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

فهرس المحتويات

قبس
شكر
إهداء
مقدمة..... أ – د
الفصل الأول: الحياة الروحية لأبي حامد الغزالي..... 10
المبحث الأول: الشك واليقين عند الغزالي..... 12
المبحث الثاني: عزلة الغزالي..... 21
المبحث الثالث: الغزالي والتصوف..... 28
الفصل الثاني: الإنتاج المعرفي للغزالي قبل الخلوة..... 34
المبحث الأول: في علم الكلام..... 36
المبحث الثاني: في الفلسفة..... 49
المبحث الثالث: في نقد الفرق "الباطنية"..... 61
الفصل الثالث: الإنتاج المعرفي للغزالي بعد الخلوة..... 66
المبحث الأول: في الأخلاق..... 69
المبحث الثاني: في التصوف..... 90
خاتمة..... 96
قائمة المصادر والمراجع..... 98
فهرس المحتويات..... 103